الزاوية التجانية سيدي إبراهيم الرياحي رضي الله عنه

والزاوية التجانية باب الخضراء

تنظمان بالتعاون مع

الجمعية التونسية للتراث المغاربي
Association Tunisienne du Patrimoine Maghrébin

ندوة دولية بعنوان:

"سيدي إبراهيم الرياحي التونسي: منارة العلم والإصلاح"

بتاريخ الأحد 19 من ذي الحجة 1441 هـ الموافق لـ 9 أوت 2020م

فهرس الكتاب

كلمة الافتتاح لسيدي الحاج الحبيب بن حامد لطف الله به في الدارين 6

مختصر سيرة الشريف سيدي أحمد التجاني بن سيدي عبد المالك رضي الله عنهما 9

"**سيدي إبراهيم الرياحي: بُعد آخر**"..... 10

2-البعد السياسي: 15

3-البعد الإنساني: 16

4-البعد الاقتصادي: 17

5-منهجية سيدي إبراهيم الرياحي في المعاملات: 19

6-مقاربة بين سيدي ' ابراهيم الرياحي ' وممده سيدي ' أحمد التجاني ' رضي الله عنه: 21

7-خاتمة: 22

مختصر سيرة الدكتور لطيّف الزرقي 24

"**سيدي إبراهيم الرياحي شيخ النخبة في تونس**" 25

مختصر سيرة الدكتورة أمينة التجاني من الجزائر الشقيقة 35

"**البُنى الأسلوبيّة في القصيدة السّينيّة لسيدي إبراهيم الرياحي**" 38

مقدّمة 39

أوّلا: التّعريف بالشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي 40

ثانيا: التّعريف بالقصيدة 45

ثالثا: التّحليل الأسلوبي: 46

رابعا: البنى الأسلوبيّة في السّينيّة..... 46

1-المستوى الصّوتي: 47

2- المستوى التّركيبي: 65

3- المستوى الدّلالي:..... 72

وفي الأخير يمكن أن نخلص إلى النّتائج الآتية:..... 73

المصادر والمراجع: 74

مختصر سيرة الأستاذ عبد الخالق ميساوي 78

"الجهود الفقهية لسيدي إبراهيم الرياحي التونسي"..... 79

مختصر سيرة السيد يوسف بن عبد الرحيم اللبوي الفوتجلي 84

"الشيخ إبراهيم الرياحي ومحبة القطب المكتوم رضي الله عنهما"..... 86

مختصر سيرة سيدي عبد الصمد عبد الواحد يحي (Paolo Urizzi)..... 92

هدية من سيدي إبراهيم الرياحي للشيخ محمد الحافظ المصري 94

مختصر سيرة الدكتور التجاني عاد..... 97

"الرحلة الرّياحية إلى الزاوية التماسينية: الدلالات والأبعاد"..... 99

التعريف بالعلامة سيدي إبراهيم الرياحي..... 101

زيارة العلامة سيدي إبراهيم الرياحي لزاوية تماسين: 105

زيارة العلامة سيدي إبراهيم الرياحي لزاوية تماسين وما فيها من أبعاد ودلالات:..... 107

مختصر سيرة الدكتور عليّ المخلبي 120

"سيدي إبراهيم الرياحي التونسي والقصر الحسيني" 124

مختصر سيرة الأستاذ هشام بن تيتة..... 131

"سيدي إبراهيم الرياحي وتحرير الرّق في تونس" 132

مختصر سيرة الأستاذ محمد الأمزالي الرباطي المغربي 145

" السفارة الإبراهيمية الرياحية إلى الديار المغربية وما نشأ عنها من علاقات حميمية" 147

كلمة الافتتاح لسيدي الحاج الحبيب بن حامد لطف الله به في الدارين

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ورضي الله عن القطب المكتوم وعن جميع أصحابه وأحبابه وأولاده وخلفاءه وكل من انتسب إليه بانتساب المحبة والتعظيم والتوقير.

هذا يوم عظيم وبيت عظيم ونجتمع عند رجل عظيم فاليوم هو يوم "لمّ الشمل" الذي لازال كبرائنا يبذلون الغالي والنفيس بل الأعمار في لمّ شتات الأمة المحمدية ولمّ شتات أحباب الشيخ رضي الله عنه وعنهم به بنبذ الفرقة وحساسيات النفس وتقوية العمل الجماعي على منهج واحد متصل يقوينا ويزيد فينا عوض أن يضعفنا أمام تحديات العصر.

بيت عظيم، بيت الله، الزاوية التجانية زاوية الذكر والصلوات والعلم والتربية متصلة بزاوية الشيخ رضي الله عنه متصلة بعضها ببعض في نظام واحد وسر واحد مأذون لها فيها. فلنكن معشر الفقراء بنفس الاتصال ولمّ الشمل مثلها ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾ النور 36

ونجتمع عند رجل عظيم سيدنا إبراهيم الرياحي كفانا شرفا وفخرا أنه من أصحاب سيدنا الشيخ رضي الله عنه لاقاه وجلس معه وتربى بما تربى به عنه مباشرة كفاحا رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا ببركاته آمين

وما لقاءنا هذا إلا بإذنه هو وهو حيّ معنا لله الحمد.

عمليا لقد قامت زاوية باب الخضراء بالتعاون مع "الجمعية التونسية للتراث المغاربي" على العمل على إبراز تراجم ثلة من أصحاب الشيخ رضي الله عنه وثلة من

علماء الطريقة التجانية بصفة خاصة وكان لتقنية "الزووم" وللحجر الصحي في رمضان نتائج مهمة في إحياء تراث هؤلاء السادات رضي الله عنهم.

والفكرة التي نريد أن نركز عليها وبها أختم هي التحدي القائم منذ مئات السنين إلى الآن وهو اجتهاد أعداء الإسلام فيما يسمى بالغزو التاريخي أو غزاة التاريخ الذين يحاولون أن ينالوا من دين الله تعالى بالهجوم على ثوابته ورجالاته ورموزه كعلماءه وكهوية المسلمين بعد أن عجزوا لمئات السنين من أن يتخلصوا من المسلمين أنفسهم فما وجدوا إلا ازديادا لأعداد المسلمين وازديادا لقوتهم العلمية والباطنية.

فانظروا رحمكم الله الحملات الشعواء على اللغة العربية وعلى رموز الإسلام كالبخاري ومسلم وأبي هريرة والسنة نفسها بمحاولة إقصاءها عن الدين والاقتصار على القرآن وغيرها من الترهات الخبيثة. في بعض الأحيان حتى من بني جلدتنا يتكلمون بألسنتنا وينتسبون للإسلام ويطعنون في البخاري وصحيحه بالذات.

ومن بنود نظرية الغزو التاريخي بند يسمى "قتل الشخصية" ينص على تحويل البطل إلى رمز ثم حصره في قليل من مناقبه ثم شيئا فشيئا قوده إلى سلة المنسيات وإلى العدم. خاصة مع انتشار الفضائيات والمواقع الاجتماعية .

أما الهدف الرئيسي لهذا العمل ليس ذلك العالم فحسب بل أنا وأنت، شبابنا، مستقبلنا، ليسقط مفهوم القدوة ومفهوم البطل ومفهوم المربي ونصبح غدا أمة بلا أبطال وبلا رموز وبلا مراجع فلا نشرب إلا ممن يريدونه لنا "معلما" فنسلم في قرارة أنفسنا أننا أمة بلا تاريخ بلا أبطال بلا هوية فنصغر في أعيننا شيئا فشيئا حتى نتلاشى والعياذ بالله.

إذًا عمل الجمعية مع الزاوية بكل تواضع هو إحياء هذه الشخصيات الفذة من علماء الطريقة خاصة وإبراز مناقبها وترسيخها في الذاكرة الجماعية للمسلمين وللتجانيين الشباب والأطفال خاصة. ثم العمل العلمي الميداني الجاد والتركيز على الشباب وعلى علوم الموارد البشرية التي بها يرتفع مستوى الوعي وتنطلق الطاقات.

وقد ذكر السخاوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "**من ورّخ مؤمنا فكأنما أحياه ومن قرأ تاريخه فكأنما زاره**" فعلى بركة الله ينطلق هذا الإحياء لشيخنا شيخ تونس سيدي إبراهيم الرياحي رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا بدعواته وبركاته آمين.

وَرَّخَ الكتابَ : أَرَّخَه. أرَّخَ / أرَّخَ لـ يؤرّخ ، تَأْريخًا ، فهو مُؤرّخ ، والمفعول مُؤرَّخ.

أرَّخ للقوم: كتب تاريخ حياتهم وأحداثهم وحضارتهم.

المصدر: معجم المعاني الرقمي على الأنترنيت

مختصر سيرة الشريف سيدي أحمد التجاني بن سيدي عبد المالك رضي الله عنهما

هو الشريف الجليل، العالم العلامة النبيل، ذو المزايا الكبيرة، سمي جده، سيدي أحمد التجاني بن سيدي عبد المالك بن سيدي علال، من مواليد سنة 1954م، من الشرفاء أولاد سيدنا الشيخ رضي الله عنه الأكثر نشاطا في الطريقة التجانية، له تآليف فيها ودراسات باللغة الفرنسية، من جملة ذلك كتابه "relire Jawaheer al maani" وكذا دراسات حول الجانب البيداغوجي والسيكولوجي في شخصية جده القطب المكتوم سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه، هذا بالإضافة إلى كونه رحَّالةً وسفيرا للطريقة التجانية بالأقطار الأوروبية ومؤخرا بإفريقيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية

سيدي أحمد بن سيدي عبد المالك مُجاز من كلية الحقوق، ومجاز أيضا من كلية الاقتصاد، متزوج وأب لثلاثة أبناء

""منقول من موقع سيدي أحمد سكيرج رضي الله عنه ""

"سيدي إبراهيم الرياحي: بُعد آخر"

مداخلة للشريف سيدي أحمد التجاني بن سيدي عبد المالك حفيد الشيخ الأكبر سيدي أحمد التجاني قدس الله سره من الجزائر الشقيقة

باسم الله الرحمن الرحيم.

أحمد الله تبارك وتعالى، وأصلي على جميع أنبيائه ورسله، وعلى خاتمهم سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين.

وأستفتح بالذي هو خير: ﴿**رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ صدق الله العظيم.

إن مداخلتي الجدّ وجيزة، لا تفي بمقام شخصية كبيرة بحجم العالم العامل سيدي إبراهيم الرياحي رضي الله عنه وأرضاه. إن تعريف هذا العلامة العظيم يتطلب مجلدات ومجلدات، نجمع فيها مساره العلمي والديني والسياسي والتربوي والإنساني ولا يكفي ذلك. فحاولت في هذه العجالة أن أركز، من خلال هذه المداخلة البسيطة والمتواضعة جدًا، على محطة ذات الأهمية البالغة في حياته والتي ربما لا يعرفها الكثير من أحبابه وأصحابه الباحثين منهم أو المؤرخين.

إن جل من سألناهم عن الولي العالم سيدي إبراهيم الرياحي، يجيبون كالتالي: "هو ولي صالح تونسي" ويجيبك البعض بأنه "خليفة من خلفاء سيدي أحمد التجاني" أو "مقدم الطريقة بتونس" .... وغيرها من الأجوبة التي هي في الحقيقة صحيحة، لكنها لا

تشمل قامة وعظمة الرجل. فدائما، لجهلنا بالأعلام، نقوم بحصرهم في ركن واحد ونغلق عليهم إلى الأبد حتى أن الأجيال تصبح تذكرهم، فقط كما وجدت أسلافهم عليه.

من يتحمل هذه المسؤولية؟ ومن يتحمل هذا الخطأ؟ وهل هناك خطأ فعلاً؟

الأكيد أن هنالك نصيبا مشتركا من التقصير فعلاً يقع على عاتق الباحثين، والمؤرخين والصحفيين وأصحاب الاختصاص؛ فالكثير منهم يركز فقط على جانب واحد للشخص، وفي الغالب هو فقط الجانب الذي عرفوه أو سمعوه عنه. والأمر هكذا، نتوصل إلى أننا لا نعرف الرجل كامل المعرفة، وبالتالي لم نعطه حقه كاملاً.

وبخصوص سيدي إبراهيم الرياحي، عرفناه صوفياً، وفي ذهن كل واحد منا صورة عليه: "عابدٌ جالس فوق سجادته وبيده سبحته" أو "شيخ شعره أبيض منزوٍ في خلوته يلقن الأذكار "شيخ لا يخرج من زاويته يقرأ الأوراد صباح مساء" .... هذه هي الصورة الراسخة في ذهن أغلب الناس وبمختلف مشاربهم. هذه الصورة صحيحة بالفعل لكنها لا تمثل إلا نقطة في بحر أو شجرة في غابة بالنسبة لقامته الحقيقية.

قبل أن أكتب هذه الوريقات، طرحت باقة من الأسئلة على بعض الأصدقاء، في الجزائر وخارج الجزائر، في السنغال ومالي والمغرب وفرنسا وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية وماليزيا وإندونيسيا.... كانت الإجابات كالتالي:

60% لا أعرفه،

15% هو ولي تجاني تونسي،

10% هو من الأولياء في تونس،

10% هو من الصالحين بالمغرب العربي،

5% هو كاتب عربي أو مغني تونسي أو باحث ....

ولكم التعليق أيها السادة الأفاضل...

ولما كان الأمر كذلك، ولما سمعت ما أسمعتكم به، قررت بفضل الله وقوته، أنا العبد الضعيف، أن أبحث حول الرجل وإن كانت المراجع نادرة إن لم نقل منعدمة تماماً بخصوص هذا الرجل الذي حسب رأيي، ظلمه التاريخ وظلمه العلماء وظلمته الذاكرة العربية التي كتبت بأحرف من ذهب من قال قصيدة شعرية واحدة وتناست من جاء بدواوين.

حاولت أن أقدم صورة مخلصة، وإن كانت غير وافية لقامة هذا الرجل، لكن ما لا يعرف كله لا يترك كله؛ فجمعت بعض المواقف من حياة هذا العالم العربي والعالمي، من خلال بعض المحطات ذات الأهمية البالغة في حياته والتي يفتخر بها الإنسان العربي والعالمي عموما.

طرحت السؤال التالي على نفسي: ماذا أكتب؟ هل أكتب عن الجانب الروحي لهذا العالم؟ هذا الجانب معروف عند الأغلبية ولكن بنسبة ضئيلة. هل أكتب عن الجانب الإنساني؟ أو الجانب السياسي أو الدبلوماسي أو التربوي أو التعليمي؟ قررت أن أختصر كل هذه الجوانب، من خلال هذه المداخلة، ليتني أفتح الشهية لكل من أراد أن يوسع البحث ويفتح طريقاً واسعاً يساعدنا للدخول إلى مملكة العلماء العارفين. والمربيين الفائقين، والسياسيين المحنكين، والخبراء في الدبلوماسية الرشيدة والخطابة الراقية ... الخ

سوف أركز في مداخلتي، بحول الله تعالى، على العناصر التالية:

1-البعد الروحي لسيدي إبراهيم الرياحي.

2-البعد السياسي.

3-البعد الإنساني.

4-البعد الاقتصادي.

5-منهجية سيدي إبراهيم الرياحي في المعاملات.

6-مقاربة بين سيدي إبراهيم الرياحي وشيخه وممده سيدي أحمد التجاني رضي الله عنهما.

1-البعد الروحي لسيدي إبراهيم الرياحي:

ولد إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد بن إبراهيم الرياحي التونسي بتستور (ولاية باجة) وهو العلامة الفقيه، الأديب الشاعر، الصوفي الرحالة السياسي المربي، بتاريخ (1180 هـ -1266 هـ) (1767 -1850 م) حفظ القرآن في بلدة ميلاده ثم ارتحل إلى تونس لطلب العلم. أخذ بجامع الزيتونة من أعلام عصره 'كصالح الكواش'، و'حسن الشريف'. أخذ الطريقة الشاذلية. سوف لا أطيل عليكم في هذا الجانب المهم في حياة المترجم له، لأن الجانب الروحي لا بداية ولا حدَ له، وسوف يأخذ منا مليارات الورقات ولا ننتهي منه. بل إن لهذا الباب فرسانه الذين يحسنون الكتابة، ويعرفون دقائق الأشياء ويتفننون فيها. فالجانب الروحي والإيماني يهدف إلى ترسيخ الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله والعمل بأوامره والبعد عما نهى عنه. وكما جاء في التراجم، أنه قرأ القرآن بتستور، ثم ارتحل إلى تونس في طلب العلم الشريف أواخر القرن الثاني عشر الهجري، قرأ النحو على عالم عصره الشيخ 'حمزة الجباس' وقرأ على الشيخ 'صالح الكواش' وهو عالم البلد على الإطلاق، وقرأ كذلك على الشيخ 'حسونة بن خليل الحنفي' وقرأ المختصر الخليلي بمدرسة 'علي باي' على الشيخ 'محمد بن بلقاسم المحجوب' إلى غير ذلك، حتى أصبح

من فحول علماء تونس مع ما عنده من الفضل والتصدي لنفع المتعلمين ومعرفة الأسرار الربانية، إلى أن ظهر عليه فضل العلم والعمل وبلغ من تحصيله غاية الأمل.

أما معارفه الربانية. وطرق وصوله إليها، فإنه أخذ عدة طرق وانتهى الى الطريقة الشاذلية سالكاً ذلك مسلك أستاذه العارف بالله الشريف الشيخ 'البشير بن عبد الرحمان بن السعيدي بن محمد بن أبي القاسم ابن عبد السلام بن مشيش رضي الله عنهم. كان باراً بأستاذه المذكور وملازماً لخدمته ويستمد منه المعارف الربانية والأسرار.

ومن الأحداث التي غيرت حياة المترجم له رحمه الله، أنه في سنة 1216 هـ تفضل الله له برؤية سارة ومبشرة، حيث رأى أنه داخل جامع الزيتونة فالتقى برجل من الغرب فقال له "يا شيخ إبراهيم عليك بالطريقة الأحمدية " وفي اليقظة من الغد، التقى بنفس الرجل الذي رآه في منامه، مبتسماً، فعانقه وأجلسه بجواره وتعرف على الرجل، فإذا به الحاج 'عليّ حرازم برادة' أحد خلفاء سيدي أحمد تجاني رضي الله عنه وكاتب جواهر المعاني بإملاء الشيخ رضي الله عنه؛ وكان هذا في سنة 1808 م، فاستفاد كثيراً من الشيخ، فرأى ما رأى معه من كرامات باهرة من فضل الله وجوده وكرمه. وفي إحدى الليالي، أيقظه العلامة الحاج 'عليّ برادة' وطلب منه أن يطلب الله عزَ وجل بما يريد، فنهض سيدي 'ابراهيم الرياحي' وحرر كتاب مطالبه وهي: من بينها، رؤية النبي صلى الله عليه وسلم، أبناء صالحين، عمراً طويلاً بالخير معموراً بالطاعة والموت على الإيمان الكامل...الخ (من أرادها فليطالعها في كتب سيرته) وبعدها أخذ الطريقة التجانية، بعد استئذان شيخه. فتبحر فيها وفي أسرارها، إلى أن بنى أول زاوية تجانية بتونس، للذكر وتلاوة القرآن الكريم.

وكان صوفياً واصلاً متميزاً، والله سبحانه وتعالى يذكر تمايز الناس فيما ينعم عليهم به وبيَن أن منهم الأنبياء، ومنهم الصدقون ومنهم الشهداء ومنهم الصالحين ...

قال تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (سورة النساء 69 - 70).

كان 'سيدي إبراهيم الرياحي' عالماً مربياً عابداً ورعاً وروحانياً قوياً واختُص بما قاله 'الشيخ عبد الحليم محمود ' (شيخ الأزهر سابقاً): "...والعبادة والروحانية، والزهد والورع كل ذلك ليس من مظاهر الضعف وإنما هو قوة".

ويقول ابن سينا عن الصوفي: "هو العارف الشجاع". وكيف لا وهو بمعزل عن تقية الموت.

التصوف روحانية، والروحانية قوة، ولا يتمارى في ذلك اثنان (عبد الحليم محمود. المنقذ من الضلال. الطبعة الثانية 1985 بيروت).

2-البعد السياسي:

إن الجانب الروحي لم يمنع سيدي 'ابراهيم الرياحي' من النشاط السياسي حيث وبتاريخ (1218 هـ 1803 م) انتخبه الأمير 'حمودة باشا' سفيراً للسلطنة الشريفية بالمغرب الأقصى على عهد السلطان 'سليمان بن محمد' وكان ذلك، لما ضربت المجاعة تونس، فطلب الميرة من السلطان عند مقابلته. وأُعجب به السلطان واندهش من غزارة علمه وخلقه الرفيع وكذا أسلوبه في التعامل، حتى أعطاه كل ما طلبه وأزيد. واغتنم 'سيدي إبراهيم الرياحي' فرصة وجوده في فاس، ليلتقي بالشيخ 'سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه' فلقنه الورد التجاني وبعدها، التقى بأكبر العلماء آنذاك وهو العلامة 'الطيب بن كيران'. ولم يكتفي بهذا بل حضر درس السلطان في التفسير.

وخلاصة القول أن هذه المحطة المتعلقة بمهمته الى المغرب لوحدها تجعل الرجل من الأكابر في السياسة، العلم، الروح، وعلم المفاوضات والدبلوماسية. كيف؟

1-لأنه أقنع السلطان بالإعانة وتحصل عليها وذلك لحنكته السياسية ومعرفته لدقائق التأثير والإقناع.

2-اغتنم فرصة وجوده في فاس لزيارة سيدي 'أحمد التجاني ' شيخه وممده ومستشاره في كل المسائل الروحية والعلمية والسياسية.

3-لقائه بالعلامة المفسر والفقيه المالكي 'الطيب بن كيران'، وأخذ منه ما تيَسر من البلاغة والفلسفة...الخ ليحضر نفسه أكثر ويكون شخصيته السياسية.

4-حضور درس السلطان في التفسير كان خاتمة مهمته الدبلوماسية والسياسية.

إن هذه المحطة أي محطة فاس بالنسبة للعلامة سيدي 'ابراهيم الرياحي' تعد ذات الأهمية البالغة في حياته، حيث التقى بأقطاب السياسة والتصوف والعلم، وهذا ما سوف يحفزه أكثر في ربح المعارك المقبلة في الدبلوماسية العالمية.

3-البعد الإنساني:

إن المترجم له، قام بأصعب مهمة في حياة السياسيين، وهي أن يسافر ليطلب المعونة من دولة أخرى. إن الأمير 'حمودة باشا' انتخبه لهذه المهمة نظراً لأخلاقه الحميدة وقامته العلمية وحنكته في التفاوض خاصةً عندما يكون الطرف الآخر سلطاناً في ذلك الزمان.

ملاحظة: ما نراه في يومنا هذا أن العديد من المبعوثين الأمميين لا ينجحون في مهماتهم الإنسانية إلا بأشق الأنفس وهم المتخرجين من أكبر الجامعات الغربية ولديهم ما لديهم من وسائل الإقناع المادية (أموال، إغراءات، صفقات ...الخ).

4-البعد الاقتصادي:

في سنة 1838م محطة أخرى أكثر أهمية وأكثر تعقيداً من مهمة 1803م وذلك لسببين إثنين هما:

1-أن الموضوع يتعلق بالمال والاقتصاد، مفاده إلغاء الضريبة المالية على تونس !!! وهذا لوحده يعد من الأمور الشائكة والتي لا تحل بسهولة نظرا لمكانة الجباية الضريبية في اقتصادات الدول، حيث أنها من الموارد الأساسية المعتمد عليها في إنعاش النشاط التنموي للدول. بدونها، تشل كل مجالات الحياة الاقتصادية، وتضطر الدول إلى الاقتراض والمديونية مع كل ما تخلفه من نتائج وخيمة، يمكن أن تصل إلى التدخل في شؤون الدولة وفقدان سيادتها.

2-الأمر الثاني الذي يعقد المسألة، أن الطرف الثاني المفاوض معه هو تركيا أي البلد السيد، زد على ذلك، أن المعروف على الدولة العثمانية، أنها تعتمد أساساً على الضريبة بمختلف أشكالها كوسيلة للتمويل.

3- الصعوبة الأخرى أن الدولة العثمانية دولة إسلامية لكنها غير عربية، مما يعقد الأمور أكثر، ويقتضي تعيين مفاوض محنك له دراية واسعة بالمالية واللغة التركية ؛ وأن يكون عالماً بدقائق الميدان المالي والاقتصادي، حاد الذكاء، بليغ في لغة اتصاله بالطرف الآخر، عالماً بالشريعة الإسلامية وقواعدها خاصةً في شقها المالي المتعلق بالخراج والزكاة واللزمة...الخ ومع كل هذه الصعاب، نجح سيدي إبراهيم الرياحي، رضي الله عنه، هذا العالِم الفذُ، في افتكاك العفو الضريبي الخاص بتونس مع أن المرحلة كانت جد عصيبة آنذاك، خاصة بالنسبة للدولة العثمانية، لأنها سوف تفقد عنصرا هاماً من دخلها.

يا ترى ما هو سر نجاح سيدي إبراهيم الرياحي في افتكاك الصفقة، وبالتالي توفير مبالغ مالية معتبرة لبلده تونس، لمحاربة المجاعة والفقر؟

تم إعفاء الإمارة التونسية من دفع الضريبة السنوية المفروضة، ولو نسبياً، للأسباب التالية:

أن العلاّمة سيدي إبراهيم الرياحي، كان قد تعلم من شيوخه ومربيه وخاصة ممده سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، فن الإقناع والخطابة وقواعد السياسة التي هي فنٌ أكثر منه علم. فاستعمل هذه المهارات، التي من خلالها، تجعل الطرف الآخر يقبل طلبك دون أن تقدم له مقابلاً مادياً على ذلك. وهذا ما يسمى في يومنا هذا بعلم النفس السياسي وعلم النفس التفاوضي و(Management) بفروعه كفن الإقناع...

مهارة سيدي إبراهيم تكمن في بلاغته. فاستطاع، من خلال أبيات شعرية عذبة، أن يحرك وجدان السلطان محمود، مطلعها:

العز بالله للسلطان محمود ♦♦♦♦ ابن السلاطين محمود بن محمود

وبأبيات أخرى، مدح فيها الصدر الأعظم، رشيد باشا:

الصدرُ الأعظمُ مقصد المتوسلُ ♦♦♦♦ وهو المؤملُ في القضاءِ المنزّلِ

فاز سيدي إبراهيم الرياحي بالإفراج الضريبي بصدق البلاغة وحسن الخلق !!

هذا الإفراج الذي خلص إمارة تونس من كارثتين:

- كارثة المجاعة والفقر والمرض.

- كارثة الضريبة وثقلها على الأهالي.

وبصدق البلاغة، وحسن الخلق وغزارة العلم وقوته الروحية، حقق هذا العالم الرباني نجاحا باهرا آخرا، حيث أُعجب به، شيخ الإسلام، أحمد عارف حكمت، أحد أهم أعلام المسلمين الأتراك في القرن الثالث عشر الهجري، وقاضي القدس ثم مصر ثم المدينة المنورة عليها وعلى صاحبها أزكى الصلاة والسلام. ودامت بينهما المراسلات شعرا ونثراً.

5-منهجية سيدي إبراهيم الرياحي في المعاملات:

أولاً في السياسة:

كان سيدي إبراهيم الرياحي رجلاً دبلوماسيا محنكا، لا يدخل مسلكاً سياسياً إلا عند تأكده بأنه سوف يوصله إلى خدمة الأهالي الفقراء والمحتاجين. كان يتحمس للمهمات الإنسانية أكثر من النشاط السياسي المؤدي إلى الحكم؛ بل ما لبث يرفض ويتهرب من الرياسة وحب المناصب كهروب الشخص من الأفعى.

عمل بوصايا شيخه سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه، الذي كان دوما يردد لأصحابه، قولته المشهورة: " إياكم والرياسة فإنها كعبة تطوف بها كل الأشرار، وهي بيت الهلاك في الدنيا وفي الآخرة. "

لم يكن سيدي أحمد التجاني يقصد بالرياسة تسيير شؤون العباد وقضاء مصالحهم وحمايتهم من الظلم والقهر، بل الرياسة حسب مقولته، هو حب السلطة وعبادة السلاطين والأمراء وكذا شراء المناصب من أجل الشهوات والأموال...الخ

ثانياً في الاقتصاد:

لم يتأخر سيدي إبراهيم الرياحي ولا مرة واحدة، عن المهمات التي تخدم البلاد والعباد مخففة من شدة الفقر والاحتياج. توسط إلى السلطان سليمان التجاني

بالمغرب، للحصول على الميرة زمن المجاعة في تونس، حيث أقنعه بذلك وأنقذ الشعب التونسي الملهوف، من مجاعة مرعبة.

نستطيع أن ندخل هذه المهمة، ضمن أهم المهمات الإنسانية، التي شهدها العالم عبر العصور، والتي، يستحق من خلالها، سيدي إبراهيم الرياحي والسلطان سليمان جائزة نوبل للتعامل الإنساني !! لكن، ما كان ليقبلها هذان العملاقان، لأنهما يطمعان في الجائزة الربانية العظمى: الرضا والبشرى والفوز العظيم.

كما قال الله تعالى في كتابه المحكم: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64)**﴾ سورة يونس.

وما يلفت الانتباه، أن العالم الصالح سيدي إبراهيم الرياحي، رغم حبه للمشير الأول، إلا أنه كان ينتقده دوما وينكر عليه سياسته الجائرة في فرض الضرائب وفي طريقة جمعها، وكان يصرح هذا الإنكار ولا يخفيه.

حيث أن فرض الضرائب آنذاك، كانت فوضوية ومجحفة في حق الكثير من الطبقات خاصة الفقيرة منها.

وهذا ما دعا له العالم الكبير، المؤرخ والفيلسوف العربي الإسلامي، رجل الدولة والقاضي وأب علم الاجتماع التونسي الأصل، عبد الرحمن بن خلدون، في مقدمته، وكان ذلك في القرن الرابع عشر ميلاديا حيث قال: "إن الضرائب المرتفعة، ستجعل الناس ينتشرون في كل مكان بحثا عن القوت، وسيهربون إلى أماكن خارج الولاية لحكومتهم، مما يفرغ الأوطان من رجالها الأقوياء، وتقبع المدن في حالة خراب .... وهذا في النهاية، يفكك

السلالة الحاكمة وإنهاء صلاحية الحكم، فقراراتهم وانعكاساتها تحدد بقاءهم أو اندثارهم...."

6-مقاربة بين سيدي ' ابراهيم الرياحي ' وممده سيدي ' أحمد التجاني ' رضي الله عنه:

لعل المتتبع لأهم محطات هذين القطبين يلاحظ تقاربا كبيرا بينهما، خاصةً فيما يتعلق بالتعامل مع السياسيين وكذا في مجال الضرائب حيث:

أولاً التعامل مع الطبقة السياسية:

كان سيدي 'أحمد التجاني' يراسل كثيراً السلطان والوزراء والأمراء، ونراه دائماً يوصي هؤلاء الحكام بعدم التفريط في الأمانة التي وّكلها لهم الله سبحانه وتعالى، والاستجابة للناس وقضاء حوائجهم والبر بالفقراء ... الخ، ولم يعاتَب سيدي 'أحمد التجاني' من طرف الطبقة السياسية، بل بالعكس، كان السلطان والأمراء يعملون بنصائحه وإرشاداته كالولد مع والده وبكل قناعة تامة.

والسر في ذلك أن سيدي 'أحمد التجاني' رضي الله عنه، كان يستعمل طريقة فريدة من نوعها في رسائله الى الحكام، حيث كان يخصص الصفحة الأولى من الرسالة في مدح الحاكم ثم يبين له أنه مختار من طرف الله عز وجل، وفي الأخير يقدم له الوصية التي تُقبل بصدر رحب، بل تغرس الفرحة والسرور في نفس الحاكم حتى يسارع في تنفيذها والحث على تطبيقها.

هذه الطريقة التحفيزية القوية والفعالة، التي كان يستعملها سيدي أحمد التجاني، تبين أنه كان عالما كبيراً للنفس وخبيراً قوياً في علم التحفيز والإقناع قبل ظهور علم النفس الاجتماعي والسياسي بكثير.

وتلميذه سيدي 'إبراهيم الرياحي' حذا حذوه وفهم درس شيخه ومربيه، فكان مقَربا من الطبقة السياسية (الباشاوات) حتى غرس الثقة في نفوسهم، فأوكلوه بالمهمات الصعبة. كان يستعمل البلاغة الشعرية كسلاح قوي في إقناع الحكام سواء في تونس، أو المغرب أو تركيا.

ثانياً المجال الاقتصادي والمالي:

أ-وقف سيدي أحمد التجاني ضد الضريبة التي تثقل كاهل الأهالي، وكان ينتقد النظام التركي جهاراً، في خطب الجمعة، في عين ماضي وتلمسان، التي كانت عاصمة العلم، وكذا في قصر سيدي أبي ستمغون. وكانت هاته الانتقادات الموجهة للحكام، العامل الرئيسي والأوحد، الذي أدى إلى نفيه من بوسمغون الى فاس بالمغرب، حيث جهز الباي ' حسّان ' من وهران، جيشاً وأغار على بوسمغون وطلب رأس الشيخ سيدي 'أحمد تجاني '، ولما بدأ الباي في تخريب القصر، قرر سيدي احمد تجاني حفاظاً على الأهالي، الهجرة الى المغرب مع مجموعة من أصحابه، عن طريق الصحراء. فوصل الى فاس، في صفة الرجل السياسي المنفي فرّحب به السلطان ' سليمان ' وأكرم نزله وأخذ ورده التجاني فيما بعد.

ب-انتقد من جهته سيدي ' ابراهيم الرياحي ' النظام الضريبي الجائر، ومعه المشير الأول الذي كان حاكماً. وكان يصرح ذلك ولا يخفيه ومحبة الباشا له منعته من معاقبته ونفييه بل بالعكس، كان هذا الأخير يخافه ويخشاه ويتودد إليه.

7-خاتمة:

الكلام عن الأولياء الصالحين لا ينتهي، وخصالهم ومواقفهم لا تعّد ولا تحصى وكلها مشوقة وفيها الكثير من العبر والفوائد والدروس. وتراهم في كل المجالات، قد سبقوا

علماء العصر الحديث في شتى مجالات الحياة العلمية، الاقتصادية، السياسية والروحية.

فسلوكهم وحركاتهم وأقولهم دواءُ لمن به داء. لكنهم كنز مهمل، علينا بالتنقيب عليه والتعريف به لأجيالنا، حتى يتعرفوا على تاريخهم المجيد وشخصياته الفذة، لكيلا نغرق في أوحال حضارة حديثة وحشية، لا تترك روحاً ولا فكراً.

ونسأل الله محقق الآمال ومبارك الأعمال، أن يبارك هذا النشاط العلمي والديني، وأن يجعله بداية ميمونة لإقامة مجمع إسلامي علمي ليرعى نشئاً مؤمنا وعالما، لا تغره مبادئ مستوردة ولا شعارات وافدة، ولا اتجاهات متعاكسة؛ بل يعتز -أولا وقبل كل شيء -بربه العلي الكبير الذي خلقه وهداه، وقرآنه الذي جعله ربه " بصائر" فهو " يهدي للتي هي أقوم " ورسوله الرائد الذي لا يكذب. والذي أدى الأمانة ونصح الأمة، صلوات الله وسلامه عليه.

والله المستعان. وعلى الله قصد السبيل.

الأستاذ: أحمد التجاني. الجزائر جويلية 2020

مختصر سيرة الدكتور لطيّف الزرقي

البيانات الشخصية

الاسم واللقب: لطيف زرقي

تاريخ الميلاد: 26 /1976/04.

البريد الالكتروني: ltaief.zorgui@yahoo.fr

الحالة الاجتماعية: متزوج وأب لثلاثة أبناء

المؤهل الدراسي

المؤهل / دكتوراه من جامعة الزيتونة " التجديد في فكر الشيخ الأحسن البعقيلي: العقيدة والتصوف نموذجا"

التخصص / علوم إسلامية

سنة الحصول على الشهادة / 2018

التقدير / أعلى درجات الامتياز: مشرف جدا

مدارب تنمية بشريّة معتمد من عدّة مراكز دوليّة.

الخبرات العملية

- أستاذ أوّل مميز 18سنة خبرة
- مدرس عقيدة في الجمعيّة التونسيّة للعلوم الشرعيّة 8سنوات خبرة
- إمام خطيب 7 سنوات خبرة
- ناشط إعلامي: معد ومقدم برامج في إذاعة محليّة

"سيدي إبراهيم الرياحي شيخ النخبة في تونس"

د. لطيّف زرقي

بسم الله الرحمان الرّحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه الميامين ورضي الله عن شيخنا وعن سائر خلفائه أجمعين وعمن انتسب إليه إلى يوم الدين

الحضور الكريم السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

نجتمع اليوم للاحتفاء بعلم من أعلام تونس البارزين الذين تركوا أثرا واضحا ونورا ساطعا في تراثنا التونسي والمغاربي بل في إفريقيا المسلمة كلّها إننا نعني العالم الجليل والعارف الهمام الذي جمع بين علمي الظّاهر والباطن سيدي إبراهيم الرّياحي صاحب الكمالات والآيات الواضحات رضي الله عنه وارضاه.

موضوع المداخلة: سيدي إبراهيم الرياحي (1766م-1850م=) شيخ النخبة في تونس

تتحدّد الفترة الزمنيّة التي نتناولها في هذا الموضوع بالنصف الأول من القرن التّاسع عشر وهي فترة على قدر كبير من الأهميّة في التاريخ الحديث للبلاد لتوّنسيّة حيث بداية الحراك الإصلاحي الذي نادت به النخبة في البلاد وإذا ما رجعنا إلى الشخصيات المأثرة في تلك المرحلة نجد قرائن عدّة تشير إلى أن الشيخ سيدي إبراهيم الرّياحي كان من أهمّ تلك الشخصيات إن لم يكن أبرزها وهو ما يخوّل لنا الحديث عنه كشيخ للنخبة في تونس

1- ماذا نعني بالنخبة:

إنّنا نعني بالنخبة في هذا السياق تلك المجموعة الرّائدة التي حصّلت تكوينا علميا متينا خوّل لها المشاركة في الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة من أجل الارتقاء بالبلاد والعباد وفق مقاربات جديدة ورؤية استشرافيّة، وفي بلادنا التونسيّة نجد هذا التوصيف ينطبق

على المجموعة المعاصرة للشيخ سيدي إبراهيم الرياحي والطبقة الموالية لهم من تلامذتهم ومريديهم. ويتفق المؤرخون والباحثون في التأكيد على اعتبار القرن 19 قرن الإصلاح في تونس لما عرفه من مصلحين أمثال أحمد ابن أبي الضياف والشيخ سالم بو حاجب والشيخ محمد بيرم الخامس وبعض الساسة المصلحين أمثال المشير أحمد باشا باي والوزير يوسف صاحب الطّابع والوزير خير الدّين التونسي وقد عرفت هذه المرحلة إصلاحات تعتبر رائدة بالنسبة للبلاد التونسية نذكر منها:

- إلغاء الرق في عهد أحمد باي سنة 1846. كان ذلك قبل إلغاء الرق بالولايات المتحدة الأمريكية الذي كان سنة 1865 في أعقاب حرب أهلية عنيفة دارت رحاها بين الشمال والجنوب. برغم ما قيل عن هذا القانون أنه جاء لتلبية رغبات الدول الغربية إلا أنّه كان مصدر فخر وتباه لتونس خاصة وأن هذه المسألة كانت لاتزال مطروحة في الدول العربيّة المتقدّمة.

- بصدور عهد الأمان يوم 9 سبتمبر 1857 تم تضمين عديد المبادئ الإنسانيّة العامّة لعل من أهمها ما تضمنته المادة الأولى من *"تأكيد الأمان لسائر رعيتنا وسكان إيالتنا على اختلاف الأديان والألسنة والألوان في أبدانهم المكرمة أموالهم المحرمة وأعراضهم المحترمة إلا بحق يوجبه نظر المجلس بالمشورة ويرفعه إلينا، ولنا النظر في الإمضاء أو التخفيف ما أمكن أو الإذن بإعادة النظر."*

- دستور 1861 الذي تم إصداره في عهد محمد الصادق باي (1859 -1882) وهو أول دستور تونسي بدأ العمل به يوم 26 أفريل 1861م. وينص هذا الدستور على الفصل بين السلط الثلاث والحد من سلطة الباي الذي وإن بقيت السلطة التنفيذية بيده إلا أنه فقد بعض صلاحياته. أما عن السلطة التشريعية فقد

أصبحت مشتركة بين الباي والمجلس الأكبر. بينما استقلت السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية وتأسست ضمنها مجالس الجنايات المتمثلة في 10 محاكم. ويعتبر هذا الدستور سابقة تاريخية للبلاد التونسية على اعتبار أنها أول بلد عربي إسلامي يصدر دستورا.

لم تكن تلك القرارات والمو اقف ارتجالا أو ابتكارنا بل كانت نتيجة مخاض طويل عبّرت عنه بكلّ وضوح سيرة تلك النخبة التي كانت تحيط بالمشير أحمد باشا باي وتوجّهه إلى هذا المصار الإصلاحي الذي انطلق بتلك القرارات النوعيّة التي اتخذها هذا الباي وهنا يبرز الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي كنجم من نجوم تلك المرحلة

2- علاقة الشيخ سيدي إبراهيم بالنخبة في تونس

لقد كان الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي يتمتع بالكثير من المزايا خوّلت له أن يكون ملهما لأقرانه وتلامذته وللعلّ أهم هذه الميزات هي غزارة العلم وثبوت القدم في الصلاح حيث كان رائدا في العلوم النقليّة وكان ينظر إليه أيضا على أنّه من الذين حازوا قصب السبق في مضمار الصلاح والولاية خاصّة بعد اندراجه في سلك الطريقة التجانيّة على يد الشيخ سيدي على حرازم، وهو ما جعله وجيها ومعظما عند جمهور النّاس تماما كما هو الحال عند الخاصّة من أهل العلم والسيّاسة وهذه المكانة أعطته سلطة أدبيّة خوّلت لله أن ينقد الكثير من تصرفات بعض المسؤولين ويجهر بذللك في حضرة الباي على رؤوس الأشهاد وقد نقل لنا ابن ابي الضياف نماذج كثيرة من تلك الواقف[1] وهو ما

[11]- نماذج من الإتحاف

يعبّر بوضوح عن رغبته في الإصلاح والتغيير وقد تشرّب منه تلامذته ومعاصريه تلك الرغبة سواء من أهل العلم أو من أهل السياسة

أ- علاقته بالنخبة الفكريّة

لقد بلغ الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي مكانة علميّة في البلاد التونسيّة لا نظير لها في زمنه فكان من الرتبة الأولى من طبقات مدرسي جامع الزيتونة عندما وضع أحمد باشا باي ترتيب المدرسين فكان مجدّدا في أسالب التدريس فانتقل من الأسلوب السردي القائم على الإملاء فقط إلى الطريقة النشيطة التي تقوم على الشرح وطرح الأسئلة والتفاعل مع الطلبة فتزاحم طلاب العلم على دروسه وتنافسوا في الأخذ عنه، وكان أوّل من جمع بين خطّة رئاسة أهل الشورى والفتوى وخطّة الإمامة والخطابة بجامع الزيتونة[2] ثمّ أصبح من المشرفين على التعليم الزيتونة عندما صار عضوا في النظارة العامّة للتعليم الزيتوني وتثبت كتب التراجم أنّ جلّ الفاعلين السياسيين والموظفين الساميين في دولة المشير أحمد باشا باي وهي دولة الإصلاح في تونس كانوا من تلامذته المقربين على غرار رجل الفكر والإصلاح في تونس أحمد بن أبي الضياف صاحب كتاب الإتحاف الذي كانت تربطه بالشيخ الرياحي علاقة وطيدة تتجاوز مجرد علاقة التلميذ بالمعلم إلى علاقة الإرشاد الرّوحي والأدبي ويظهر هذا جليّا في رسالة التوصية التي كتبها الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي إلى الشيخ أحمد عارف كبير المفتيين في اسطنبول يطلب منه أن يساعد أحمد بن أبي الضياف في انجاز مهمّته التي كلّفه بها المشير أحمد باي لدي الأستانة وممّا جاء في هذه الرسالة قول الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي مخاطبا المفتي الشيخ أحمد عارف "هذا وأستمدّ من مدد جاهكم المقبول وعزّكم الذي لا يحول

---

[2] - محفوظ (محمد) : تراجم المؤلفين التونسيين، 2/ 394

ولا يزول إعانة أحد أبناء قلبي الذي هو أعزّ من أبناء صلبي نخبة نجباء أبناء درسي وأَشْكَرَ من تمتّع بثمار غرسي مختار ديوان الإنشاء المبوّأ من الدولة ما يشاء القائم منها مقام اللسان من العين المنزّل من الباشا منزلة الحسن والحسين الشيخ أحمد بن ابي الضياف فإنّه وارد إلى حضرتكم العليّة في قضاء لبانة سلطانيّة" فهذه التعابير تدلّ على أنّ الشيخ الرياحي كان يعتني بتلامذته عناية أبعد وأعمق من مجرّد العناية التعليميّة المعلوماتيّة. ولا ننسى أن بن أبي الضياف كان من خاصة المستشارين عند البايات وكان عضوا في اللجنة التي صاغت عهد الأمان فيما بعد

كما نجد علما آخر ارتبط اسمه بالفكر الإصلاحي في تونس وهو الشيخ سالم بوحاجب الذي صارت تربطه في ما بعد بالوزير المصلح خير اللدين التونسي رابطة قويّة وصداقة متينة ويعتبر الشيخ سالم بوحاجب من أبرز المساهمين في تحرير وصياغة أفكار كتاب أقوم المسالك المنسوب للوزير خير الدين، وقد كان الشيخ بوحاجب معدودا من جملة تلامذة الشيخ إبراهيم الرياحي حيث التحق بدرس الموطأ الذي كان يلقيه الشيخ بداره إذ لم ينتخب الشيخ إبراهيم للتدريس الرسمي نظرا إلى مقامه الشرعي إذ كان آنذاك كبير أهل الشورى المالكية وإماما أوّل بجامع الزيتونة ومسيّرا للتعليم الزيتوني بصفته عضوا من الأعضاء الأربعة الذين تتكون منهم النظارة العلمية المشرفة على التعليم.

كما نجد ثلة من تلامذته في دائرة الإفتاء وفي إدارة المحاكم الجنائيّة وهو ما يقابل في عصرنا والسلطة القضائية مثل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الأوّل الذي كان من خاصّة تلامذة الشيخ الرّياحي وكان من أبرز المساهمين في إدارة الدولة في تلك الفترة ففي سنة1277هـ/1861 م أسندت إليه خطة الفتيا ونقابة الأشراف والحسبة على الأوقاف،

والنظارة على بيت المال وسمّي عضوا بالمجلس الأكبر (مجلس الشورى) المتكوّن من 60 عضوا بمقتضى عهد الأمان.1857

وكذلك نجد من أبرز تلامذة سيدي إبراهيم الرياحي الشيخ صالح النيفر الذي أخذ عنه العلوم النقليّة والذوقيّة حيث انخرط على يده في سلك الطريقة التجانيّة وصار بعد ذلك من أهل الحل والقد في الدولة فتقلّب في خط كثيرة منها

- **العضويّة في مجلس قانون عهد الأمان:** لمّا أسّست مجالس عهد الأمان عيّن كاهية لرئيس مجلس الجنايات والأحكام العرفيّة في صفر من سنة 1277هـ ولكنّه لم يلبث أن ينتقل من هذه الخطّة إلى خطّة قضاء الجماعة

- **قضاء الجماعة المالكيّة:** لقد كان من عرف الدولة الحسينيّة أن تعيّن قاضيا حنفيّا تبعا للمذهب الرسمي للدولة العثمانيّة لأن تونس كانت تعدّ إيالة عثمانيّة ثمّ تُعيّن قاضيا مالكيّا باعتبار أنّ المذهب المالكي هو مذهب جلّ التونسيين تقريبا فكان القاضي المالكي يسمّى قاضي الجماعة وقد تولّى الشيخ صالح النيفر هذه الخطّة عام 1277هـ وكان له من العمر 41 سنة تقريبا فكانت سيرته في القضاء محمودة جمع فيها بين الورع والدّهاء ممّا شجّع أصحاب القرار على إعطائه خطط اعلى وأهم في الدولة

- **ولايته الفتوى ورئاسة مجلس الجنايات:** في صفر عام 1280هـ=1863م انتقل من خطّة القضاء إلى خطّة الفتوى واسندت له رئاسة مجلس الجنايات والأحكام العرفيّة في نفس اليوم

- ولاية الحسبة لمّا توفي الشيخ محمد الطّاهر بن عاشور الجد أصبحت الخطط التي كان يديرها شاغرة ومن بينها خطّة الحسبة فتولّاها الشيخ صالح النيفر في محرّم الحرام عام 1285هـ وكانت هذه الخطّة تعني الإشراف على الأوقاف وعلى بيت المال.

- **رئاسة الفتوى:** وقد رشّحه لهذه الخطّة رجل الإصلاح خير الدّين التونسي لِمَا يرى فيه من غزارة العلم الشرعي والدّراية بشؤون الوقت فتولّى هذه الخطّة في شعبان سنة 1285هـ

ولا نطيل على جنابكم في تعداد الأعلام الذين تخرّجوا على يديه وانتسبوا إليه لما له من الفضل والمكانة العلميّة والرمزيّة، وأدلّ دليل على هذه المكانة ما نلمسه من إشادة بالغة بقدر هذا الرجل من طرف رائد الفكر التونسي أحمد بن أبي الضياف فيقول عنه "عالم العصر وبركة المصر الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الرياحي" وقد تكرّرت هذه العبارة وما شاكلها في التّبجيل والتقدير في كلّ المواضع التي ورد فيها ذكر سيدي إبراهيم الرياحي في كتاب الإتحاف وهي عديدة جدّا[3].

ب- علاقته بالنخبة السّياسيّة

يأتي على رأس هذه النخبة السياسيّة المشير أحمد باشا باي الّذي كان يتيمّن ويتبرّك به كما يتبرك التلاميذ بشيوخهم ويستشيره ويستنصحه ويقبل منه النّصيحة على رؤوس الأشهاد ولو كان فيها حدّة ويعمل بها، ويقول أحمد بن أبي الضياف في كتاب الإتحاف في ذكر سفر المشير احمد باشا إلى فرنسا " ولمّا كان يوم الثلاثاء الرّابع عشر

---

[3] - ابن أبي الضياف (أحمد):إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، تحقيق أحمد عبد السلام، الشركة التونسيّة للتوزيع، ط2، دت 6/44-50-67-68-85.

من الشهر أتى لوداعه أهل المجلس الشرعي فعظّم مقدمهم وطلب منهم الدّعاء وقال له شيخ الشيوخ وطود التقوى أبو إسحاق إبراهيم الرّياحي في ذلك المشهد إنّ نواب الجلد والدّخان واللزّامة لم يزالوا في تعنّتهم وعسفهم لعباد الله فكيف يكون الحال في مغيبك فقال له يا سيدي قد بالغت في وصايتهم، ودعوا له وخرجوا فتنفّس الصعداء"[4] ونجد الكثير من توصيفات العلاقة بين الرّجلين مبثوثة في كتاب "الإتحاف"[5] وهو ما يدلّ على أنّ المشير أحمد باي كان ينظر إلى الشيخ سيدي إبراهيم نَظَرَه إلى الشّيخ والمعلّم والمرشد أكثر من نظره إليه كموظف في دولته.

أمّا الشخصيّة السياسيّة الثانية التي كانت تربطها بالشيخ سيدي إبراهيم رابطة الصّداقة والأخوّة فتتمثل في الوزير المصلح يوسف صاحب الطّابع حيث كانت تربطهما علاقة روحيّة غاية في المتانة فقد انخرطا كلاهما في سلك الطريقة التجانيّة على يد العارف بالله الشيخ سيدي على حرازم إبان زيارته إلى تونس وكان الوزير صاحب الطّابع يعرف للشيخ الرياحي فضله ويقدّره حقّ قدره فكان حريصا على بقائه في تونس فوفّر له كلّ أسباب الرّاحة وما يلزمه من النفقة من ماله الخاصّ وليس من مال الدولة وذلك لما أدركه منه من علوّ همّة قدرة على إيصال النفع للغير وإن كان للوزير الفضل على الشيخ الرياحي في معاشه ونفقته فإنّ لسيدي إبراهيم عليه الولاية في العلم والصلاح .

لقد تظافرت الأسباب مع مقتضيات الحال لجعل الشيخ سيدي إبراهيم الرّياحي يتطّور من مجرّد واحد من علماء الزيتونة ليصبح شيخا مُلْهِماً، ويقول عنه المؤرخ محمد محفوظ في كتاب تراجم المؤلفين التونسيين " المترجم له يمثل النضوج العلمي

---

[4]- الاتحاف 4/ 136.

[5] - انظر ابن أبي الضياف: الإتحاف تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثّقافيّة 4/19،12، 49،34، 65، 86.

الذي بلغ أوجه في أيّام المشير الأول أحمد باشا باي كما يمثّل خير تمثيل شخصيّة رجا العصر الحسيني في أخذه من معارف عصره من كلّ شيء بطرف ففي الوقت الذي يحرّر البحوث العلميّة الدقيقة نجده ينشئ الخطب ويدبّج الرّسائل وينظم الشعر وهو عالم أكثر منه أديبا وهو شاعر اكثر منه كاتبا وقد كان بحقّ أبا للنهضة التي ابتدأت في أواسط العصر الحسيني، بنقده، وتوجيهه، وكثرة الشيوخ الذين تخرّجوا عليه ونوّروا النصف الثاني من القرن التاسع عشر (الثالث عشر هجري) ولعبوا دورا كبيرا في التمهيد لحركة الإصلاح التي قام بها خير الدين"[6].

6 - محفوظ (محمد) : تراجم المؤلّفين التّونسيين، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان 1404هـ=1984م2/ 394.

مختصر سيرة الدكتورة أمينة التجاني من الجزائر الشقيقة

الاسم واللقب: أمينة تجاني

الرتبة العلمية: دكتورة في اللغة والأدب العربي.

تخصّص: اللسانيات واللغة العربية

المؤلفات:

1-كتاب موسوم بـ" جماليات الرمز في الشعر الصوفي الجزائري-خمرية أبي مدين التلمساني أنموذجا-"

2-كتاب موسوم بـ: "مقاربة سيميائيّة للثلاثية العرفانية – اللويحة والمسيحة والسبيحة-"

3-إضاءات لغوية (كتاب مشترك)

4-مباحث لغوية (كتاب مشترك)

المشاركة في الفعاليات العلميّة:

أوّلا: الملتقيات

1-الملتقى الوطني الأول حول " الهوية الصوفية وواقعها المعاصر" الوادي 2015. بمداخلة موسومة بـ: **"حقيقة التّصوّف و آفاقه المستقبليّة في هذه الألفيّة".**

2-الملتقى الوطني الأول حول "الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وأثره في تهذيب النفوس – المديح الديني أنموذجا-الوادي 2015. بمداخلة موسومة بـ:**"المديح النّبوي بين التأصيل والإبداع"**

3-الملتقى الدولي الأول حول "أزمة المنهج في الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة " جامعة الوادي 2016

4-الملتقى الدولي الثاني حول "الوسطية عند علماء الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا" جامعة الوادي 2017. بمداخلة معنونة بـ: **"الوسطيّة عند الشّيخ أحمد التّجّاني و أثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا"**.

5-الملتقى الدولي التاسع حول "سيميائيات الفضاء: من سيميائيات النص الأدبي إلى سيميائيات الفضاء المعماري" جامعة بسكرة 2017. بمداخلة موسومة بـ: **"سيميائيات الفضاء ودلالة التمثلات المعمارية، الزاوية التجانية بقماروتماسين أنموذجين"**.

6-الملتقى الدولي الثالث حول "القراءات الحداثية المعاصرة للعلوم الإسلامية، رؤية نقدية" جامعة الوادي 2018. بمداخلة موسومة بـ: **"القراءات الحداثية للخطاب الصوفي، رؤية نقدية"**.

7-المؤتمر الدولي: التداولية وتعليمية اللغة العربية، جامعة الوادي 2020. بمداخلة موسومة بـ: **" التداولية و أثرها في تعليمية اللغة العربية في المرحلة الابتدائية"**.

ثانيا الندوات:

1-ندوة " اللغة العربية -راهن الواقع وآفاق المستقبل" جامعة بسكرة 2016. بمداخلة موسومة بـ: **"نَحْوَ تعليم اللغة العربية تفاعليّا"**.

2-ندوة " تعليمية اللغة العربية " جامعة بسكرة 2017. بمداخلة موسومة بـ: **"تعليمية اللغة العربية في ضوء المقاربة النصية بين التنظيروالتطبيق"**.

3-ندوة " البحث العلمي في اللغة والأدب العربي: واقعه ومشكلاته " جامعة بسكرة 2017. بمداخلة موسومة بـ: **«النص وإشكالية المنهج من نداء الذات إلى فضاء التطبيق"**.

4-ندوة "تعليمية اللغة العربية في الراهن الجزائري بين الواقع والمأمول" جامعة بسكرة 2017. بمداخلة موسومة بـ: **"تعليمية اللغة العربية في ضوء مناهج الجيل الثاني بين الو اقع والمأمول".**

5-ندوة " أدباء الكلية بعيون نقادنا" جامعة بسكرة 2018. بمداخلة موسومة بـ: **"الصّوت والدّلالة في ديوان ملحمة الزّيبان".**

6-ندوة " النثر الصوفي وقضاياه النقدية الجمالية" جامعة الوادي 2019. بمداخلة موسومة بـ: **النثر الصوفي وفنونه الأدبية بين التقليد والتجديد".**

المقالات المنشورة:

1-مقال: القصدية والنظام اللغوي، قصة سليمان -عليه السلام -مقاربة لغوية. مجلة مخبر اللسانيات واللغة العربية بسكرة 2017.

2-مقال: السلالم الحجاجية في القصة النبوية. مجلة علوم اللغة العربية جامعة الوادي.

3-مقال: الحجاج في القصة النبوية الاجتماعية مجلة بسكرة.

4-مقال: السلالم الحجاجية في رسائل الشيخ سيدي أحمد التجاني. مجلة اللغة الفرنسية جامعة الوادي.

"البُنى الأسلوبيّة في القصيدة السّينيّة لسيدي إبراهيم الرياحي"

الدكتورة: أمينة تجاني

أستاذة في اللغة والأدب العربي

تخصّص: اللسانيّات واللغة العربيّة

ملخص:

تهدف هذه الدّراسة إلى الكشف عن شخصيّة إسلاميّة عظيمة وبارزة كان لها الدّور الكبير في خدمة العباد والبلاد سواء على الصّعيد الدّيني أم التّعليمي أم السّياسي أم الأدبي؛ ألا وهو شيخ الزّيتونة سيدي إبراهيم الرّياحي التّجّاني، من خلال تسليط الضّوء على أدبه وشعره الذي تميّز به عن غيره كونه يصوّر أحوال الأرواح والقلوب، ويدعو إلى الله عزّ وجلّ، وذلك بغرس القيم السّامية والأخلاق الفاضلة والغايات النّبيلة التي نحن في أمسّ الحاجة إليها اليوم.

فحاولنا الغوص في بحر شعره بحثا عن دُرره ومكنوناته، وكشفا عن فنونه وأدبيّاته، وإنصافا له ولأعماله، وقد اخترنا قصيدته السّينيّة التي مدح فيها الشّيخ سيدي أحمد التّجّاني لِما تحويه من حمولات إيمانيّة وروحيّة ومعرفيّة، أردنا إبرازها انطلاقا من بنيتها اللغويّة؛ الصّوتيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة، مستثمرين المنهج الأسلوبي من أجل اكتشاف عالم النّص وسبر أغواره وصولا إلى دلالاته الصّريحة والضّمنيّة، الظّاهريّة والباطنيّة، الجليّة والخفيّة.

مقدّمة

إنّ اللغة مفتاح العلوم ومرآة الشعوب؛ تنقش ثقافتها بكلماتها وتحدّد ملامحها المادية والمعنوية بألفاظها وعباراتها، ترسم في الذّاكرة خرائط الأمم وحضاراتها الباقية والمندثرة، إنّها عابرة للزّمان والمكان، مثقلة بحمولات معرفيّة وثقافيّة وفكريّة وعلميّة، تغرس في النّفوس القيم والأخلاق والمبادئ، وتوجّه السّلوك الإنساني في الحياة؛ خيرا أو شرّا حسب ما تقتضيه نصوصها.

والحديث عن اللغة هو حديث عما يملكه الإنسان من تقنيات وأساليب قد تحبّب فيه الآخر، فينجذب إليه بسهولة كبيرة انجذابا يسهل إقناعه، أو قد ينفّره منه بواسطتها فينقلب عليه، ولذلك فاللغة هاهنا هي أسلوب في التّلاعب بالكلمات، هي فن ومهارة، إنّها لعبة عجينيّة، الكل يشكلها بحسب رغباته وأهدافه المرسومة سلفا"[7]. والنّص يشكّل حقلا معرفيّا جامعا، وبؤرة دلاليّة مكثفة تعدّ فضاءً واسعًا قابلاً للبحث والكشف، وفي ذلك يقول (رولان بارت): "علينا أن نكتشف عالم اللغة على نحو ما نستكشف الفضاء، وربّما أصبح هذان الكشفان أهمّ سمة يتميّز بها عصرنا".

ومن هنا حاولنا الاقتراب من عالم القصيدة لمدّ جسور التّواصل بيننا وبينه، ولفهم معانيها والمقاصد التي يرمي إليها الشّاعر انطلاقا من البنية اللغويّة؛ إذ يرى (جاك فونتاني) "أنّ اللغة هي إقامة علاقة بين بُعْدَيْن في الأقل هما: مستوى التّعبير ومستوى المضمون، ويوافقان على التّوالي العالم الخارجي والعالم الدّاخلي"[8].

---

[7] ينظر: عبد الجبار أبو بكر، الحجاج الفلسفي وإشكالية المشترك اللفظي ، الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج2 ، ص 298 .

[8] Jacques Fontanilles, sémiotique de discours , presses univesitaires de Limoge , 1998 , p 33 .

والإشكالية التي يطرحها هذا البحث تتحدّد في الأسئلة الآتية:

- من هو الشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي؟

- ما هي القصيدة "السّينيّة"؟

- ما هي دلالات ومعاني "السّينيّة" لسيدي إبراهيم الرّياحي انطلاقا من بنيتها اللغويّة؟

- ما هي المقاصد التي يرمي إليها الشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي من نَظْمِه للقصيدة؟

وللإجابة عن هذه التّساؤلات خضنا غمار البحث وفق الكلمات المفتاحية الآتية: التعريف بالشيخ سيدي إبراهيم الرياحي، التّعريف بالسّينيّة، البُنى الأسلوبيّة، البنى الأسلوبيّة في السّينيّة.

أوّلا: التّعريف بالشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي

هو شيخ الإسلام وعلم الأنام، الإمام التّقي، الزّاهد الورع الولي؛ أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرّياحي بن الفقيه إبراهيم الطّرابلسي، نزل جدّه إبراهيم بعمل (رياح) واشتغل بتعليم القرآن، ثمّ انتقل ابنه عبد القادر إلى (تستور) وبها ولد إبراهيم الرّياحي سنة 1180هـ، 1766م[9]. وقد ذكره الزركلي في الأعلام بقوله: "إبراهيم الرّياحي (1180-1266هـ، 1766-1850م) هو إبراهيم بن عبد القادر الرياحي التّونسي، أبو إسحاق؛ فقيه مالكي من أهل المغرب، ولد في تستور ونشأ وتوفّي بتونس، وَوُلِّيَ رئاسة الفتوى بها"[10].

---

[9] عمر بن محمد بن علي، تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي، المكتبة العتيقة، تونس، ج1، ص 07، 08.

[10] الزركلي، الأعلام .

بدأت علامات النّجابة تظهر على الشّيخ منذ الصّغر، فحفظ القرآن الكريم في مدّة وجيزة، ثمّ انتقل إلى حاضرة تونس أواخر القرن الثاني عشر أين تلقّى العلم الشّريف من أربابه، فقرأ على الشّيخ حمزة الجباس والشّيخ صالح الكوّاش والشّيخ محمد الفاسي والشّيخ عمر محجوب والشّيخ حسن الشّريف والشّيخ إبراهيم التّميمي، وغيرهم من علماء تونس، ثمّ تصدّر للتّدريس[11]. وقد أظهر الشّيخ همّة عالية، ونهما كبيرا في تحصيل العلوم بأنواعها حتى فاق أقرانه، وشدّ انتباه شيوخه الذين توسّموا فيه مخايل النّجابة والرّيادة، ومن ذلك أنّ "الشّيخ الطّاهر بن مسعود كان يميّزه من بين أقرانه بإبطال الدّرس إذا غاب ويقول: هذا شابّ ننتفع به أكثر ممّا ينتفع بنا"[12]. وناهيك بهذه الشّهادة من شيخ لتلميذه المبتدئ.

ولم يلبث أن برز وترقّى في سلّم المعارف والمعالي درجة بعد درجة حتى تسلّم أعلى الرّتب واجتمع فيه وله ما تفرّق لدى غيره، فإذا به –رضي الله عنه-يجمع بين الإمامة الكبرى بجامع الزّيتونة ورئاسة الفتوى، وهو ما لم يجتمع لأحد قبله. وقد اعترف علماء المغرب الإسلامي بمكانة صاحب الترجمة العلميّة والفقهيّة حتى لقّب بسلطان العلماء تشبيها له بالعز بن عبد السّلام، وكان يستفتونه من كل أنحاء القطر التّونسي وجنوب الصّحراء والشّرق الجزائري، وفي ذلك يقول الشيخ سيدي محمد الحافظ المصري: "ذكر مولانا زينة العلماء السيد محمد الخضر التّونسي – حفظه الله تعالى-أنّ الرّياحي كان في زمنه كالعز بن عبد السّلام"[13].

---

[11] عمر بن محمد، تعطير النواحي، ج1، ص 08.

[12] المرجع نفسه، ج1، ص 08.

[13] محمد الحافظ المصري، الرسالة السادسة، ص 33 .

لمّا كانت همّة الشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي تناطح الثّريّا مال إلى طلب علوم الباطن، وحرص على الانخراط في سلك أهل الولاية والعرفان، فانتسب إلى الطّريقة الشّاذليّة في البداية، ثمّ أخذ الطّريقة التّجّانيّة عن الشّيخ سيدي الحاج علي حرازم حين قدم تونس سنة (1216ه)، وفي ذلك يقول: "الحمد لله الذي منّ علينا بالاجتماع مع شيخنا العلم الهمام، رأس العارفين بلا نزاع، وقطب الواصلين بلا دفاع، وليّ الله الذي هو في مراقبة الله وعبادته ومعرفته حازم، مولانا ووسيلتنا إلى الله وعمدتنا لديه سيدي علي حرازم... فأخذنا عنه والمنّة لله الطّريقة التّجّانيّة المنسوبة لشيخنا أمير الأولياء وخلاصة الأصفياء، الغوث الأشهر، العارف الأكبر، الكهف الأفخر، مركز دائرة أهل الله، ملجأ الكبراء من خلاصة خلق الله، مولانا وسيّدنا أحمد بن محمد بن المختار..."[14].

والتقى بالشّيخ سيدي أحمد التجّاني بفاس يوم الاثنين السابع عشر من شوّال سنة 1218ه حين أرسله الأمير (حمودة باشا) إلى سلطان المغرب يطلب العون والمساعدة بسبب المسغبة والمجاعة التي حدثت بتونس في تلك الفترة[15]. وبذلك حصل سيدي إبراهيم الرّياحي على جميع المآرب، ونال من صحبة شيخه عظيم المغانم وجليل المكاسب، فصار مُظهرا منه للأسرار كالشّمس تُظهر نورَها الأقمار، وصارت له المشيخة في علمي الظّاهر والباطن (علم الشّريعة وعلم الحقيقة)، ويشهد له بذلك مكاتيب القطب المكتوم له.

وبعد انتقال القطب المكتوم –رضي الله عنه- إلى جوار ربّه التقى سيدي إبراهيم الرّياحي بالمقدّم الأجلّ سيدي الطّاهر بن سيدي عبد الصّادق القماري أثناء زيارته

---

[14] عمر بن محمد، تعطير النواحي ، ج1، ص 12.

[15] ينظر: المرجع نفسه، ص 19، 20، 21 .

لتونس، ورافقه لزيارة ومبايعة الخليفة الأعظم، والوارث الأحمدي الأفخم سيدي الحاج علي التّماسيني –رضي الله عنه- بتماسين، وذلك سنة 1238هـ، 1822م. وكان هذا اللقاء مميّزا حيث قطع الشّيخ الرّياحي أشواطا كبيرة في التّربية وتزكية النّفس وتخليصها من العلائق والعوائق التي تحول دون وصولها إلى المقام الموعود، وبذلك أدرك مقامه المنيف الذي بشّره به سيدي الحاج علي حرازم على يد القطب الأعظم سيدي الحاج علي التّماسيني، وعاد إلى تونس وهو يقول: "كنت أحمل علم القشور، وأنا الآن أحمل لبّ العلوم"[16].

وبفضل نشاطه العلمي وفي الدّعوة إلى الطّريقة انتشرت التّجّانيّة في الأوساط العلميّة وأوساط الحكّام بتونس خصوصا في الشّمال، وفي ذلك يقول أحد علماء الزّيتونة: "وإنّ طريقته -الطّريقة التّجّانيّة- لم تنتشر بواسطة الملوك، بل بواسطة العلماء، فقد كان أوّل ناشر لها بيننا رأس الفتوى والإمام الأكبر بالجامع الأعظم، وشيخ شيوخ القطر مولانا الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي، مجيز علماء المشرق والمغرب. وتداول سنده من بعده من شيوخ الفتوى والقضاء بالمذهبيْن الحنفي والمالكي ما يزيد على الأربعين من آل بيرم، وآل النّيفر، وآل الخوجه، وآل الشّاهد، وآل الشّريف وآل حسين وآل جعيط، وسواهم، جمهور عظيم من أئمّة ومدرّسين وأمراء ووزراء وسراة وفضلاء، ومن لم يدخل زمرتهم لم يتوقّف عن الاعتراف بالفضل لهذا الإمام، والكل

[16] محمد الحبيب سلطاني، الدور الإصلاحي لسيدي إبراهيم الرياحي، ضمن كتاب: الفرد الواعي ضمان لبناء المجتمع واستقرار الوطن، الزاوية التجانية بالوادي، الجزائر، 2016، ص 72.

شحيح بدينه، غير مخدوع في يقينه..."[17]. كما يذكر أحمد الأزمي أنّ "إبراهيم الرياحي التّونسي كان من أكثر المدافعين عن الطّريقة التّجّانيّة انطلاقا من بلاده تونس"[18].

كان الشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي من أبرز العلماء الذين انبروا للرّد على رسالة محمد بن عبد الوهاب التي وجّهها إلى باي تونس، والتي أحالها بدوره إلى علماء جامعة الزّيتونة لتكون الإجابة التّونسيّة علميّة موضوعيّة، وهذا ما تمّ بالفعل عن طريق الشّيخ المحجوب والشّيخ التّميمي والشّيخ إبراهيم الرّياحي – رحمهم الله-.

وهو أوّل من سنّ ذكرى إحياء المولد النّبوي الشّريف بسرد قصّة حرّرها لمولد سيّد الكائنات عليه الصّلاة والسّلام، وقد ذكره محي الدّين الطّعمي في كتابه (معجم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام واليقظة)[19].

توفّي الشيخ سيدي إبراهيم الرّياحي عام 1266هـ وعمره 86 عاما صرفه في طاعة مولاه في عيشة راضية، مجتهدا في جلب الخير لأهل قطره ودفع الشّرّ عنهم في أمره ونهيه، وانتفع على يده الجمّ الغفير بأخذ العلم عنه وتلقين الأوراد لطلابها، وإرشادهم بالحال والهمّة والمقال في كلّ ملمّة مهمّة، وقد دفن بزاويته المعروفة بتونس[20]. مخلّفا عدّة كتب، منها: مبرّد الصّوارم والأسنّة في الرّدّ على من أخرج الشيخ التّجّاني عن دائرة أهل السّنّة، منظومة في علم النّحو، حاشية على الفاكهاني، ديوان شعر، وغيرها.

---

[17] الشيخ سيدي محمد مناشو، قمع التعصب وأهواء أعداء التجاني بالمشرق والمغرب، دار التجاني، الوادي، الجزائر، ص 34 .

[18] أحمد الأزمي، الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ج2، ص 242 .

[19] محي الدين الطعمي، معجم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام واليقظة، ص 15 .

[20] سكيرج ، رفع النقاب.

ثانيا: التّعريف بالقصيدة

السّينيّة هي قصيدة بديعة راقية نظمها الشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي في مدح شيخه الشّيخ سيدي أحمد التّجّاني، يقول في مطلعها:

صاح اركب العزم لا تخلد إلى الياس واصحب أخا حزم ذا جدّ إلى فاس

وقد قال فيها سيدي محمد العربي بن السّايح: "إنّ صاحب هذه القصيدة قالها عن وجدان واستغراق في محبّة الشّيخ –رضي الله عنه-وتوحّد مرتبته العليا التي لا يشاركه فيها غيره؛ الجامعة للفردانيّة والقطبانيّة والختميّة والكتميّة، ولم يُمدح الشّيخ بمثلها ولا بما يقاربها"[21].

فهي حقيقة تعبّر عن تجربة روحيّة خاصّة عاشها الشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي؛ محبّة شيخه والتّعلّق به والاستغراق فيه والشّوق الدّائم إليه.

تجربة خاض غمارها، أحسّها بكلّ وجدانه، تذوّق حلاوتها وجنى ثمارها، فنقلها ووصفها بأدقّ التفاصيل وأرقّ التّعابير حتى يستشعر المتلقّي أهمّيّتها، ويحاول أن يجرّبها ويعيشها، ليتذوّق طعم المحبّة الحقيقي ويعرف لذّة الوصال ويستكشف معنى القرب، فالقصيدة وإن كان ظاهرها المدح إلاّ أنّها ترمي إلى التأثير في المتلقي بتغيير سلوكه، وذلك من خلال اتّباع منهج الشّيخ وطريقه.

فالخطاب الشّعري الصّوفي يتضمّن بداخله عناصر التّربية الرّوحية، فهو يجمع بين القول والعمل، وهذه هي فلسفته الخاصّة التي تميّزه عن باقي الخطابات؛ فهو إلى جانب كَوْنِه ممارسة لغوية، تواصلية يتشكل وفقا للموضوع الذي يصنع بُنْيَتُه، إلا أنّه أيضا ممارسة سلوكيّة ولغة جسديّة. فهو لا يكتفي باللفظ والنطق، بل يهتم أيضا

---

[21] عمر بن محمد، تعطير النواحي، ج1، ص 63.

بالسلوك من خلال عنايته بالتربية الروحية عناية خاصة باعتبارها الوسيلة المثلى للحياة الروحية الحقة، فهي التي تغرس الفضائل والأخلاق الحميدة، وتجعل المؤمن يحرص على كمال عبادته ليزداد قربا من الله ويحظى بمحبته ورضوانه. وهذا ما سنحاول الكشف عنه في هذا البحث.

ولا ندّعي السّبق في هذا المضمار فقد سبقنا إلى شرح هذه القصيدة عبد القادر الرياحي التّونسي في كتابه (**تلخيص المناحي بشرح سينية سيدي إبراهيم الرّياحي**)، وإن كنّا لم نتمكّن من الحصول على الكتاب، والاطّلاع على ما جاء فيه.

ثالثا: التّحليل الأسلوبي:

يقوم التحليل الأسلوبي من الناحية العملية على مستويات اللغة: المستوى الصوتي، المستوى التركيبي، المستوى الدلالي. وذلك من خلال وصف عناصر العمل الفنّي والكشف عن جماليّاته والميزات الشّخصيّة فيه، وإبراز مدى إبداع الشّاعر في نصّه.

وقد اخترنا هذا المنهج ليكون مجالا لهذه الدّراسة لِما في الشّعر الصوفي من قوّة إيحائيّة وسمات رمزيّة لا يمكن إبراز جماليّاتها إلا عن طريق التحليل الأسلوبي الذي يغوص في زوايا الموضوع فينطلق من البنية اللغويّة البسيطة ليكشف عن آفاقه وأبعاده.

رابعا: البنى الأسلوبيّة في السّينيّة

تعدّ القصيدة "عالما سحريّا يموج بالحركة والألوان، عالما لا يعترف بالأبعاد والحدود، إنه عالم التّخطّي والتّجاوز والسّعي وراء المطلق...إنّه في حقيقته خطاب

التّساؤل والتّعدد الدّلالي، خطاب القراءة المفتوحة الأفاق المتعدّدة الأبعاد"[22]. وعليه فدراستنا هذه تمثّل قراءة مفتوحة الآفاق لقصيدة سيدي إبراهيم الرّياحي "السّينيّة"، ولذلك لابد لنا من إتّباع بعض الآليّات التي تعيننا على فهم القصيدة وسبر أغوارها من أجل التمكن من إبراز أبعادها والغايات التي ترمي إليها.

1-المستوى الصّوتي:

يلعب الصّوت اللغوي دورا فعالا في تحديد دلالات الكلمات في الشّعر والنثّر على حد السّواء، لأنّ البنية الصوتية للنص تُشكّل مستوى من العلاقات الفوقيّة التي تعكس نفس الذي تتميّز به البنية الدّلاليّة.

فدلالة الأصوات ومعانيها مستمدّة من طبيعتها؛ مخارجها وصفاتها، وهذا يعني أنّ الكلمة تحدث صدى للمعنى عن طريق نطق الأصوات الحقيقيّة لأحرفها، لأنّ "استقلاليّة أيّة كلمة بحروف معيّنة يكسبها صوتيّا ذائقة سمعيّة منفردة تختلف عمّا سواها من الكلمات التي تؤدّي المعنى نفسه، ممّا يجعل كلمة ما دون كلمة – وإن اتّحدا بالمعنى- لها استقلاليّتها الصّوتيّة إمّا في الصّدى المؤثّر، وإمّا في البعد الصّوتي الخاص، وإمّا بتكثيف المعنى بزيادة المبنى، وإمّا بإقبال العاطفة، وإمّا بزيادة التّوقّع، فهي حينا تصكّ السّمع وحينا تهيّء النّفس، وحينا تضفي صيغة التّأثير فزعا من شيء أو توجّها لشيء أو طمعا في شيء وهكذا"[23].

---

[22] عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي وآليات التأويل قراءة في الشعر المغاربي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، ج3، 1991، ص157.

[23] أحمد كاظم عماش العيساوي ، دلالة الصوت على المعنى ، كلية الدراسات القرآنية، جامعة البابليون، العراق ، 2016/11/28، 18:16. www.uobabylon.edu.iq

وهذا يعني أنّ نص القصيدة "كيمياء لغويّة دلاليّة معقّدة يشكل الصّوت فيها عنصرا رئيسا، أو عنصرا قاطعا مصيريّا غيابه يؤدّي إلى تعطيل التّفاعل وتعليق المعنى"[24]، فإن كان إنتاج الدّلالة في النّصوص تتضافر فيها كل المستويات بدْءًا بالأصوات والصّيغ والمفردات والتّراكيب، إلا أنّ المستوى الصّوتي هو الرّكيزة ونقطة الانطلاق التي لولاها لغاب المعنى وضاعت الدّلالة.

وهذا ما سنحاول كشفه في هذه "السّينيّة" مركّزين على الأصوات وما تلعبه من دور في إبراز المعنى، محاولين مقاربة النّص ومساءلته ليبوح ببعض أسراره التي يخفيها، وذلك بتتبّع تكرار بعض الأصوات في القصيدة والكشف عن العلاقة التي تربط بينها - وما تتميّز به من خصائص وصفات – وبين الجوّ الذي وردت فيه والمعنى الذي جسّدته.

إذا تأملنا السّينيّة -موضوع دراستنا-نجد أنّ سيدي إبراهيم الرّياحي يُكثر من بعض الأصوات بصورة ملفتة للنظر، ونِسَب هذا التّكرار تتفاوت من صوت إلى آخر، ولاشكّ "أنّ لكثافة بعض الأصوات في القصيدة علاقة بالمعاني التي يقوم عليها النسيج الدلالي"[25].

ولذلك قمنا بإحصاء بعض الأصوات الموجودة بكثافة في القصيدة بالتّرتيب، والتي من المفترض أنّها تحمل المعاني والدّلالات التي يرمي إليها الشّاعر، وقد كانت النّتائج كالآتي:

---

[24] فيصل الأحمر، الصوت والدلالة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، فسنطينة، الجزائر، م أ، ع 32، ديسمبر 2009، ص 176

[25] ياسين بن عبيد، الشعر الصوفي الجزائري المعاصر، المفاهيم والإجازات، ياسين، وزارة الثقافة، الجزائر ، دط، 2007، ص 203.

أ-صوت السّين (س):

إنّ المتمعّن في هذه القصيدة يلاحظ أنّ أصوات الصّفير قد توزّعت على مستوى الأبيات بشكل لافت للانتباه ممّا يؤكّد القيمة التّعبيريّة لها، فقد كرّر الشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي صوت السّين سبعين (70) مرّة (الياس، فاس، إيناس، السلام، الحسن، ناس، سر، طلسمه، مسمعي، لساني، انبساط، ساقي...) كما في قوله:

رمز الوجود وسرّ الحقّ طلسمه ** ** مكنونه كنزه المخفي بحرّاس
ومسمعي وفؤادي وانبساط يدي ** ** ومقلتي ولساني بين جلاّسي
يا سامعي إن تكن للسّرّ ذا ظمأ ** ** فجئ لأحمد ساقي السّرّ بالكأس[26]

والسّين يتميّز بصفيره العالي كالصّاد والزّاي، فهو عند "النّطق به لا ينحبس الهواء انحباسا محكما، وإنّما يكتفي بأن يكون مجراه ضيّقا، ويترتّب على ضيق المخرج أنّ النّفس في أثناء مروره بمخرج الصّوت يُحدث نوعًا من الصّفير أو الحفيف تبعا لنسبة ضيق المجرى"[27]، أي أنّه يحدث صفيرا عاليا عند النّطق به ولا يشركه في نسبة علو هذا الصّفير غيره من الأصوات. وعادة ما يدلّ "الصّفير" على القوّة والعلو وارتفاع الصّوت والامتداد.

ففي المعجم الفنّي: الصّفير هو "كلّ صوت يُطلق بقوّة كصفير القطار والباخرة"، وهذا ما عبّر عنه الشّاعر سيدي إبراهيم الرّياحي؛ قوّة حبّه لشيخه سيدي أحمد التّجّاني؛

---

[26] عمر بن محمد، تعطير النواحي،ج1، ص 63.

[27] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 25.

حبّ غمر ذاته، وملأ كيانه وكلّ وجدانه، حبّ لم يستطع كتمانه، حبّ فجَّر أحاسيسه وأنطق لسانه، فصدح شعرا جميلا صادقا يملأ الأرجاء ويخلّد الأسماء، ويُسمع العالم حقيقة حبّه ودعوته ليتبعوه وينخرطوا في سلك الطّريقة التّجّانيّة، ويلحقوا بالرّكب السائر إلى الله. فالشّعر أشدّ وقعا وأبلغ تأثيرا في النّفس من النّثر.

كما يتناسب هذا الصّوت الصّفيري (السّين) من حيث قيمته الإيقاعية مع التعبير عن قوّة طريقة شيخه وقوّة سندها، هذه القوّة المستمدّة من نور سيّد الوجود صلى الله عليه وسلم، وذلك لقوله للشيخ سيدي أحمد التجّاني: "لا منّة لمخلوق عليك من أشياخ الطّريق، فأنا واسطتك وممدّك على التّحقيق"[28]، وفي ذلك يقول:

وما ظنونك بالورد الذي نظمت ** ** يد النّبوءة هل يبنى بلا ساس[29]

فسيدي إبراهيم الرّياحي يؤكّد على قوّة دعواها، وهُوَ مَنْ هُوَ؛ شيخ الزّيتونة والمفتي الأعظم، علم يُهتدى به ومَثَل يُقتدى به، فليس للعلماء بعد ذلك حجّة في عدم اتّباعها. فهو كما يقول محمد بيرم الثّالث:

وذاك أبو إسحاق مَنْ عَزّ أن يُرى ** ** ضريب له في العرب أو في الأعاجم[30]

---

[28] سيدي الحاج علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس سيدي أحمد التجاني، تح: محمد الراضي كنون، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 2011، ج1، ص26.

[29] عمر بن محمد، تعطير النواحي،ج1، ص 64.

[30] المرجع نفسه، ص 61.

وقد وظّف الشّاعر هذا الصّوت عن قصد للتّنويه بعلوّ مكانة شيخه ومرتبته الرّوحيّة التي لا يضاهيه فيها أحد من الأولياء، فهو القطب المكتوم والختم المحمّدي المعلوم، وقطب الكون ومدده السّاري فيه؛ إذ يقول:

ذاك الذي نال ما لم يحوه بشر ** ** من العطايا ولم يعرف بمقياس
غوث البرايا أبو العباس أحمد من ** ** معناه أعظم أن يجلى بقرطاس
روح الوجود وقطب الكون مركزه ** ** مدده سرّه السّاري إلى النّاس
رمز الوجود وسرّ الحقّ طلسمه ** ** مكنونه كنزه المخفي بحرّاس
حقيقة الكون معنى السّرّ مجمعه ** ** فيض الإله بلا لبس ولا باس[31]

إضافة إلى معنى القوّة التي تميّز بها الصّوت (سين)، نجد أنّ "الصّفير" يأخذ معنى آخر، فهو حسب (معجم الرّائد) "صوت حاد وممتدّ، قال الجاحظ: أنصت بكثير من الذّهول إلى صفير الرّيح في شقوق الصّخور". والامتداد هنا يوحي بالشّساعة والانتشار، فالشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي استخدم هذا الصّوت ليوجّه النّاس إلى التفكّر والتّأمّل في سرّ هذا الانتشار؛ ألا يدلّ على صدق دعوى شيخه، ألا يدلّ على أنّ طريقته مستمدّة من الكتاب والسّنّة، ألا يدلّ على وجود يد قويّة ترعاها؛ ألا وهي يد الله -عزّ وجلّ-. فلو لم تكن على العروة الوثقى لانفصم عراها كما حدث مع كثير من الحركات والدّعوات الزّائفة التي تروّج لنفسها باسم الإسلام.

[31] عمر بن محمد، تعطير النواحي، ج1، ص 62.

وما يؤكّد ما ذهبنا إليه قوّة وسرعة انتشار الطّريقة التّجّانيّة في كلّ ربوع العالم حتى بعد وفاة مؤسّسها، وزيادة عدد مريديها إلى ما يقارب ثلاثمائة مليون مريد، مع تنوّع مراتبهم العلميّة والاجتماعيّة؛ ملوك، وزراء، علماء، فقهاء، أدباء، شعراء، عامّة وغيرهم.

هذا الانتشار الذي كان سببا في نشر الإسلام في كثير من الدّول عبر الزّمن وخاصّة إفريقيا[32]؛ فالطّريقة التّجّانيّة تمثّل المركزيّة الإشعاعيّة التي تشع على العالم بنور الإسلام؛ عدلا وإحسانا، محبّة وسلاما. وذلك عن طريق رجالها الذين تخرّجوا من مدرسة الشّيخ سيدي أحمد التجاني فحملوا على عاتقهم لواء الدّين؛ نشرا وتبليغا، هداية وإرشادا، نصحا وتوجيها، إصلاحا وتعليما.

بل أصبحت خطرا يهدّد كيان النّصارى ووجودهم في إفريقيا وفي ذلك يقول (بونو موري) في كتابه (الإسلام والنّصرانيّة): "فصار وجود هذه السّلطنة التجّانية في وسط السّودان خطرا عظيما على سيادتنا، وكان تحرير الخلاف هو هذا: هل يتم تمدين السّودان الغربي على يد فرنسا وضبّاطها المسيحيّين أم على يد التّجّانيّة رسل

[32] الشّيخ سيدي عمر الفوتي التجاني: من خرّيجي المدرسة التّجّانيّة الذين تشرّبوا قيم الوسطيّة التي كرّسها الشّيخ أحمد التجاني حقيقة في حياته، وهو مؤسس الدّولة الإسلاميّة في غرب إفريقيا؛ إذ نشر الإسلام في المنطقة الممتدّة من المحيط الأطلسي في الغرب وحتى السّودان وادي النّيل في الشّرق، الواقعة بين المناطق الصّحراويّة أو شبه الصّحراويّة في الشّمال وبين نطاق الغابات الاستوائيّة في الجنوب، وقد عُرفت عند الرّحّالة باسم بلاد السّودان، وهي تضم كل من موريطانيا والسّنغال ومالي وغينيا وساحل العاج وبوركينافاسو والنّيجر ونيجيريا وتوغو وغانا وبنين، ثم الشّريط السّوداني الكبير كتشاد والكاميرون والسّودان.

الإسلام؟"[33]. كما يقول (أندري راسين) في كتابه (غينيا الفرنسية): "هذا النّمو الإسلامي كان سببه أمّة فولة والحاج عمر..."[34].

ولكلّ هذه الأسباب صدق شيخها وقوّة سندها وسرعة انتشارها أراد الشّاعر من خلال قصيدته دعوة كلّ النّاس - لا سيما العلماء والفقهاء لأنّهم أقرب الخلق لمعرفة الحقّ- لاتّباع طريق شيخه وحبيبه وممدّه سيدي أحمد التّجّاني وسلوك مسلكه، والتّوجّه إليه والتزام مجلسه في فاس، وهذا ما عبّر عنه صوت السّين أيضا لأنّ الصّفير حسب لسان العرب "نداء ودعوة، قيل: إنّ الدّواب لا تجيد الشّرب إلا على الصّفير"[35].

فقصيدته تمثّل نداء ودعوة لاتّباع طريق الحق والانخراط فيه، وهذا ما يؤكّده مطلعها:

صاح اركب العزم لا تخلد إلى الياس ** ** واصحب أخا الحزم ذا جدّ إلى فاس[36]

لأنّ الصوفي الحقيقي هو الذي "يمتلأ قلبه حبّا لأبناء البشر، فيتمنى لهم السّعاة التي نالها بمشاهدته لله، ولهذا ينصحهم بسلوك الطّريق الذي سلكه"[37]، وذلك إتّباعا

---

[33] شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج2، ص 396. نقلا عن: محمد الحافظ المصري، الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية بغرب إفريقيا، شيء من جهاده وتاريخ حياته، الزاوية التجانية، مصر، دط، 1383 هـ، ص 05 .

[34] شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج3، ص 45. نقلا عن: محمد الحافظ المصري، الحاج عمر الفوتي، ص 06 .

[35] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م4، ص 464 (باب صفر)

[36] عمر بن محمد، تعطير النواحي ، ج1، ص63.

[37] هيفرو محمد علي، جمالية الرمز الصوفي، النفري، العطّار، التلمساني، دراسات التكوين والتأليف، دمشق، ط1 ، 2009، ص 185 .

لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه"[38].

وهذا دَيْدَنُ الصّوفيّة، يحبّون لإخوتهم ما يحبّونه لأنفسهم، يقول فريد الدّين العطّار(ت627ه) في كتابه (منطق الطير): "كم جبت عرصات العالم، فعرفت ملكه... فإذا صحبتموني في سفرتي أصبحتم أصفياء ذلك الملك، وجلساء عتبته"[39].

والذي عزّز معنى النّداء والدّعوة للصوت الصّفيري "السّين" تميّزه بالرّخاوة أيضا التي تدلّ عن اللين وسهولة الانقياد، يقول إبراهيم أنيس: "وعلى قدر نسبة الصّفير في الصّوت تكون رخاوته، وعلى هذا فأكثر الأصوات رخاوة تلك التي سمّاها القدماء بأصوات الصّفير، وهي السّين والزّاي والصّاد"[40]. والرّخو في اللغة يعني الهشّ والليّن، قيل: فرس رخو العنان: سهل الانقياد.

وكأنّ بالشّاعر سيدي إبراهيم الرّياحي ينادي السّامع الذي يريد الكمال والصّلاح إلى حضرة شيخه سيدي أحمد التّجاني، ويوصيه بأن يكون ذا طبيعة ليّنة ومنقادة وسلسة القياد حتى ينال المراد، فمتى رُزق العبد انقيادا للحقّ وثباتا عليه فليبْشِر، فقد يُسِّر لكل خير. لأنّ أولياء الله هم نوّاب رسوله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه على أمّته من بعده، لقوله: "العلماء ورثة الأنبياء". فهم على سبيله سائرون، يعرّفون النّاس سُبُلَ حُبِّ الله الذي بأنواره تحي القلوب، وتقوم المشاعر الطّيّبة، وتستقيم الإرادة، وترجع العادة؛ وهي الشّوق إلى الوصال والفناء في الذّات العليّة.

---

[38] الإمام البخاري، الصحيح، ج1، ص12.

[39] فريد الدين العطار، منطق الطير، تح: بديع محمد جمعة ، دار الأندلس ، بيروت ، ط2 ، 2002 ، ص 185.

[40] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 25.

ويحذّر من قسوة القلوب، والتي بسببها اختلفت الشّهوات وتدهورت الأحوال، وضاعت قيم الحبّ ومسالك الوصال، وأصبح الإنكار على أهل الأذواق، والشّدّ على ألسنة أهل الأشواق، فأصبحت القيم لا معنى لها، وأصبحت توزن بميزان الفوائد والعوائد، وبقيت كفّة المصائب، فذهب الحبّ الإلهي المستمطر بشآبيب الرّحمة والعلم الوهبي، وحلّ محلّه العلم الوهمي الذي لا يخرج عن دائرة الظّلّيّة.

فالشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي في هذه القصيدة يوجّهنا إلى حلّ مشاكلنا في كلّ زمان ومكان؛ وذلك بالرّجوع إلى طريق الحقّ سبحانه وتعالى وسلوك سبل حبّه عزّ وجلّ، واتّباع أوليائه وأهل محبّته وخاصّته الذين اصطفاهم لإرشاد النّاس وتوجيههم، يقول تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تَعْدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدّنيا﴾[41]. ويقول أيضا: ﴿واتّبع سبيل من أناب إليّ﴾[42] .

تبدو "السّينيّة" في قمّة الجمال لاختيار الشاعر سيدي إبراهيم الرّياحي أصواتًا تتلاءم وتنسجم مع المعنى الذي يرمي إليه، فتكراره لأصوات معيّنة جعلت نصّه الشّعري يحفل بإيقاعات منوّعة أغنت الجانب الإيحائي والتعبيري فيه.

ب- الأصوات المهموسة:

تضافرت مع الصّوت الصّفيري الأصوات المهموسة لأداء المعنى، والصّوت المهموس "هو الصوت الذي لا تتذبذب الأوتار الصوتية ولا يسمع لها رنين حال النطق به"[43] وقد جمعت في عبارة "فحثه شخص سكت": التاء، الفاء، الحاء، الثاء، الهاء، الشين، الخاء،

---

[41] سورة الكهف، الآية 28.

[42] سورة لقمان، الآية15.

[43] كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات العربية، مكتبة الشباب , القاهرة ، دط, دت, ص 87 .

الصاد، السين، الكاف. وقد تواترت الأصوات المهموسة في القصيدة بكثرة، ومن ذلك (صاح، تخلد، اركب، اصحب، أخا، الحزم، اشرح، صباباتي، حيّ، حيّا...)، حيث يقول:

صاح اركب العزم لا تخلد إلى الياس ** ** واصحب أخا الحزم ذا جدّ إلى فاس
واشرح متون صباباتي لجيرتها ** ** وحيّ حيًّا بهم قد كان إيناسي
و اقري السّلام على تلك المعاهد من ** ** حيران تلفظه ناس إلى ناس[44]

وظّف الشّاعر الأصوات المهموسة ليعبّر لنا بدقّة عن الحالة الوجدانية والتجربة الروحيّة التي يعيشها، لأنّها أكثر الأصوات تعبيرا على "النّجوى والحوار الوجداني والكشف عن الوجدان"[45]، فنشعر بما يهيج به صدره من حبّ لشيخه سيدي أحمد التّجّاني ونستشعر معاناته في سبيل هذا الحبّ الذي أوصله إلى حبّ الله – عزّ وجلّ- ومعرفته، لأنّ محبّة أولياء الله وأهل محبّته هي عين محبّة الله سبحانه وتعالى، وطريقهم هو طريقه.

حبّ صعب المراس؛ لأنّ الصّبر على الشّدائد ليس سهلا، ولكن الله يقول: ﴿والله يحبّ الصّابرين﴾[46]، فمن يستطع اختيار رضى الله عن رضى نفسه. وكذلك التّوبة والطّهارة، لقوله تعالى: ﴿إنّ الله يحبّ التّوّابين ويحبّ المتطهّرين﴾[47]، فمن يقدر على أن يكن دائم الاستغفار والنّدم على ذنوبه وطاهر البدن والقلب (من الحسد والحقد والكره

---

[44] عمر بن محمد، تعطير النواحي ، ج1، ص63.

[45] أماني داوود سليمان، الأسلوبية والصوفيّة، دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص85

[46] سورة آل عمران، الآية 146.

[47] سورة البقرة، الآية 222.

والعداوة...). وكذلك التّقوى لقوله تعالى: ﴿فإنّ الله يحبّ المتّقين﴾[48]. والإحسان أيضا، لقوله تعالى: ﴿وأحسنوا إنّ الله يحبّ المحسنين﴾[49]. فهذا هو المعنى الحقيقي للتّصوّف، يقول الشّيخ سيدي أحمد التّجاني: "هو امتثال الأمر واجتناب النّهي في الظّاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى"[50]. أي اختر رضى الله عن رضاك.

هذا هو الحبّ؛ كظم الغيظ، العفو عند المقدرة، الإحسان عند الإساءة، الصّبر عند الشّدائد، الرضا عند الابتلاء، وغير ذلك، فالمريدُ طريقَ الله إذا أسيء إليه حَلُم، وإذا جُهل عليه عفا وغفر، وإذا أذنب تاب واستغفر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر... وهذا لا يقدر عليه البشر إلا بالاستعانة بشيخ مربّ ومعلّم ومرشد. يقول:

واهرع إليه إذا كنت ذا ظمأ ** ** واسرع إلى الله مشّاء على الرّاس[51]

فالهرع إلى شيخه هو نفسه الإسراع إلى الله لأنّ الشّيوخ هم أدلاّء الخلق لطريق الحقّ – جلّ وعلا- من بعد الأنبياء؛ إذ اختار الله سبحانه وتعالى الملائكة والأنبياء والأولياء وجعل الحقيقة تسري على ألسنتهم وأحوالهم، حتى ظهرت بأكمل مظهر، وأعظم حال، وأكرم مقال، مخاطبا الخلق بكلامه الأزلي: ﴿**ليخرجكم من الظلمات إلى النّور**﴾[52]، فمن تعلّق بهم شرب من نوره وفهم حقيقته وعرف قدره، ومن أعرض عنهم كان في ظلمات الهوى والوهم غارق.

---

[48] سورة آل عمران، الآية 76.

[49] سورة البقرة، الآية 195.

[50] سيدي الحاج علي حرازم ، جواهر المعاني ، ج2 ، ص 539 ، 540 .

[51] عمر بن محمد، تعطير النواحي، ج1، ص63.

[52] سورة الأحزاب، الآية 43.

فالحبّ إذًا هو "القوّة الخفيّة التي تحثُّ الإنسان على الطّلب وتُهيب به إلى الإقدام على العظائم، وترفعه عن الدّنايا وتساعده على أن يعرف نفسه ومبدأه ومنتهاه وخالقه، وقوّة العشق هي الوجدان ... والعشق مفتاح التصوّف"[53]. ولهذا نجد جميع الصّوفيّة يدينون بدين الحبّ، وفي ذلك يقول ابن عربي: "إنّ الإسلام هو دين الحبّ؛ إذْ أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قد دُعي حبيب الله وما ثمّة دين أعلى من دين قام على المحبّة والشّوق... فإنّ محمدا له من بين سائر الأنبياء مقام المحبّة بكمالها، مع أنّه صفيٌّ ونجيٌّ وخليل وغير ذلك من مقامات الأنبياء وزادَ عليه أنّ الله قد اتخذه حبيبا ومحبوبا"[54]. يقول الرياحي:

ومن محبّتِه ديني وخلّتِه ** ** عقلي وروحي وأحداسي وجلاّسي[55]

ومن معاني الأصوات المهموسة أيضا الهمس والمناجاة، وكأنّ بالشيخ سيدي إبراهيم الرّياحي يناجي المتلقّي ويهمس في أذنه، وينفذ إلى وجدانه ليجذبه إلى منهجه وطريقه. وما يؤكّد ذلك قوله:

يا سامعي إن تكن للسّرّ ذا ظمأ ** ** فجئ لأحمد ساقي السّرّ بالكاس
رد ورده العذب واستنشق روائحه ** ** تظفر بأعطار ذاك الورد والآس[56]

---

[53] عبد الوهاب عزام، التصوّف وفريد الدين العطار، دار إحياء الكتب العربية, القاهرة, دط, 1945, ص 70، 71.

[54] ابن عربي، ترجمان الأشواق، ص44.

[55] عمر بن محمد ، تعطير النواحي، ص 63.

[56] المرجع نفسه، ص 63.

كما أنّ هذه الأصوات تتناسب مع التجربة الصوفيّة الرّوحيّة التي تعتمد على الإحساس والذّوق لا على العقل، فهي أصوات تهزّ وجدان السّامع وتثير روحه لأنّها نابعة من شاعر مرهف الإحساس، عالي الذّوق، شعره يخاطب القلوب والأرواح ولا يخاطب الأذان، فعند سماعها تثير الوَجد، وتوقظ الرّوح وتستثير الحنين إلى الله .

د- صوت الياء (ي):

ورد صوت الياء في "السّينيّة" بكثافة، وقد توزّع فيها بشكل عمودي؛ إذْ ورد في أغلب الأبيات (الياس، حيّ، حيّا، حيران، هيمان، يقلبني، تهيامي، يحملني، العطايا، صباباتي، جيرتها، إيناسي، العارفين، فؤادي...)

والياء صوت يختلف عن غيره من الأصوات حال النطق به لأنه يجمع بين صوت صامت مثل (يَحملني، العطايَا) وصوت صائت مثل (العارفين، فؤادي)، لذا فهو يعتبر صوتا شبه صائت، "فالياء لأنها تشتمل في النطق بها على حفيف، يمكن أن تعد صوتا ساكنا، أما إذا نُظِرَ موضع اللسان معها فهي أقرب شَبَها بصوت اللين (i) لهذا اصطلح المحدثون على تسمية الياء بشبه صوت اللّين"[57].

وصوت الياء عند النطق به "تتخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق نوع من الكسرة تاركة هذا الوضع إلى حركة أخرى بسرعة ملحوظة ويتجه أوسط اللسان نحو وسط الحنك، وتنفرج الشفتان، ويسدّ الطريق إلى الأنف وتتذبذب الأوتار الصوتيّة"[58]، فهو صوت سريع الانتقال والتغيّر، حاله حال الصوفي المتدرّج في الأحوال والمقامات، المنتقل من درجة إلى أخرى أعلى منها.

---

[57] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغويّة، ص 40 .

[58] كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر ، ط1، 2000 ، ص 369 .

إن ورود صوت الياء بهذه الكثافة في "السّينيّة" وتوزعها على أغلب الأبيات جاء منسجما مع حال الشاعر سيدي إبراهيم الرّياحي، فكما أن صوت الياء "صوت انتقالي، ينتقل بسرعة من موضع صوت اللين إلى موضع آخر من أصوات اللين"[59]، فكذلك حال الشاعر متغير، فهو في حالة انتقال دائم، إذ يَعْبُر من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام إلى أن بلغ مقامه الموعود على يد سيدي الحاج علي التّماسيني.

فهو هنا بالصّبر والمواصلة والدّيمومة، لأنّ الوصول لن يكون بسرعة، وهذا قد يؤدّي إلى فتور وترك الطّريق لأنّ الإنسان خلق عجولا، لقوله تعالى: ﴿**وخلق الإنسان من عجل**﴾[60]. فهو لن يصل إلى مطلوبه إلا بعد أن تدرج في الأحوال، ثم ترقى في المقامات، وهو ما يزال متغيّرا حاله، فتارة محبّ، وتارة أخرى فانٍ في محبوبه، وأخرى سكران بخمرة المحبوب، فهو بين سُكر وصحو، حضور وغياب، فرح وحزن، ألم وسعادة.

هـ-أصوات اللين(ا، ي، و):

يبرز حضور أصوات الليّن (الألف، الواو، الياء) بقوّة في السّينيّة، ولا سيما الألف حيث تتوزع هذه الأصوات في القصيدة بشكليها العمودي (في كل الأبيات) والأفقي (تكررها في البيت الواحد)، من ذلك: (فاس، ناس، راس، وسواس، أنفاس، مقياس، قرطاس، روح، الوجود، مسمعي، فؤادي، يدي، لساني، مقلتي، ساقي، سامعي...).

وقد أشاعت أصوات المدّ جوّا موسيقيّا عذبا في القصيدة من خلال حركات الفتحة الطويلة(ا)، والكسرة الطويلة(ي)، والضمّة الطّويلة (و)، لِما لهذه الأصوات من "وظيفة فنّية صوتيّة؛ إذ تؤدي في كثير من الأحيان إلى تنوع النغمة الموسيقية للفظة أو

---

[59] المرجع نفسه ، ص 41 .

[60] سورة الأنبياء، الآية 37.

الجملة، فهي ذات مرونة عالية وذات سعة في إمكانياتها الصوتيّة، فتضفي موسيقى خاصة ذات تأثير نفسي يشبه ذلك التأثير الذي يحققه اللحن الموسيقي"[61].

فتواتر هاته الحركات بكثافة في السّينيّة يكسبها جوّا موسيقيّا عاليا، يكون له تأثير قوي في نفس المتلقي، فالشاعر يريد أن يجذب المتلقي بهذا اللحن الشجي إلى طريقه وسبيله، لأنّ الصّوت هو "الأصْل في قيمة النّص مسموعًا وأنّ درجة التأثير في المتلقي بالغة مداها عن طريق الصوت، لا عن طريق الكتابة"[62].

إنّ أبرز ما يميّز أصوات المدّ "وضوحها في السّمع إذا قيست بالأصوات الساكنة"[63]، وقد منحت هذه السّينيّة من خلال معانيها الكثير من الوضوح للطريقة التّجّانيّة التي أراد الشّاعر أن يجلوها للنّاظرين، فينخرطوا في سلكها. كما أضفت هذه الأصوات على القصيدة ليونة وطراوة تجذبان إليهما الأسماع، وتشذّان إليهما الحواس، ففي أصوات المدّ تطريب، وفيها جمال ونغم يتناسب مع تغنّي الشّاعر بحبّه، لقوله:

واشرح لهم متون صباباتي لجيرتها ** ** وحيّ حيًّا بهم كان إيناسي
و اقري السّلام على تلك المعاهد من ** ** حيران تلفظه ناس إلى ناس
وقل لهم ذلك المضـنى وحقّـكم ** ** باق على العهد ذو وجد بكم راس
لا يبصر الحسن إلا في وجوهكم ** ** وليس يجنح في حبّ لوسواس[64]

---

[61] أماني داوود سليمان، الأسلوبية والصوفيّة، ص 87

[62] ياسين بن عبيد، الشعر الصوفي الجزائري, ص200 .

[63] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغويّة، ص 30 .

[64] عمر بن محمد، تعطير النواحي، ج1، ص 63.

كما أنّ أصوات المدّ مقاطع طويلة تستغرق زمنا طويلا عند النطق بها مقارنة بالمقاطع القصيرة والأصوات الساكنة، وذلك "يتناسب دلاليّا مع الصّوت المصاحب للنّداء أو المخاطبة عن بُعد، فكثير منها يوحي بنداء ضمني يتمثّل في مناجاة الشّاعر لشيخه طلبا للوصل أو شرحا لحاله الذي يعاني فيه الألم والحزن أو بَثًّا لِلَواعِجِ الشّوق والحنين، أو الشّكوى والأنين من ألم الفراق. وفي ذلك يقول:

وعج إلى حيث من عيني لفرقته ** ** تبكي وتزفر بالأشواق أنفاسي
ومن أنا فيه هيمان يقلبني ** ** دهري بأنواع تهيامي وأجناس
ومن فؤادي به مضنى يحملني ** ** ما بعضه دكّ منه الشّامخ الرّاسي[65]

وعليه فالسّينيّة هي قصيدة للمناجاة واستعطاف الشّيوخ ولاستمداد أنوارهم، تُؤتي أُكلها وإن كانت عن بُعْد، وهذا ما أشار إليه الشّيخ سيدي العربي بن السّايح حين قال: "إنّ صاحب هذه القصيدة قالها عن وجدان واستغراق في محبّة الشّيخ –رضي الله عنه- وتوحّد مرتبته العليا التي لا يشاركه فيها غيره؛ الجامعة للفردانيّة والقطبانيّة والختميّة والكتميّة، ولم يُمدح الشّيخ بمثلها ولا بما يقاربها... إنّكم أولادي وأنّه ما ضاق على أحد أمر وقرأها إلا فرّج الله كربه وليقرأها في خلوة والله ما تخلّفت الإجابة فيها مرّة والحمد لله"[66].

فالشيخ سيدي إبراهيم الرّياحي من خلال القصيدة يدعو كل مريد تجّاني أن يناجي بهذه القصيدة شيخه، وسينال مُراده وسُؤله بإذن الله تعالى.

---

[65] المرجع نفسه، ص 63.

[66] المرجع نفسه، ص 63.

من جهة أخرى فإنّ أصوات المد يحتاج النطق بها إلى جهد أكبر من نطق المقاطع القصيرة والأصوات الساكنة وهذا يوحي بأنّ طريق الله سبحانه وتعالى طويل جدا وتحفّه المعوّقات من كل جانب (النّفس والشّيطان والهوى). ولهذا فهو يحتاج إلى صبر وجهد أكبر؛ يتمثّل ذلك في عدم الرّكون والخلود إلى العلم الظّاهر، والإسراع إلى طلب العلم الباطن وتحصيله من شيخ واصل، راسخ، قادر على توصيل المريدين، ألا وهو الشّيخ سيدي أحمد التّجّاني. يقول سيدي إبراهيم الرّياحي:

صاح اركب العزم لا تخلد إلى الياس ** ** واصحب أخا الحزم ذا جدّ إلى فاس[67]

أيضا هذا الطّريق يتطلّب جهدا كبيرا في مجاهدة النفس الذي سمّاه النّبي صلى الله عليه وسلم "الجهاد الأكبر"، وذلك من أجل الوصول إلى أعلى المقامات، وبلوغ أقصى الغايات، يقول تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا**﴾[68]. يقول الشّاعر:

واستعمل الجدّ في تحصيل واجبه ** ** إن لم تكن في بساط القرب ذا ياس
واهرع إليه إذا ما كنت ذا ظمأ ** ** واسرع إلى الله مشاء على الرّاس
وانهض فقد لاح الإسعاد طالعه ** ** وقم ولا تبك الإسعاد بالنّاس[69]

وهذا الجهد الكبير والعمل المتواصل في السّير إلى الله يحتاج تذلّلا وانكسارا وعبوديّة للواحد القهّار، وانتفاء صفات الكبر والعُجب والرّياء وخاصّة في جانب

---

[67] عمر بن محمد، تعطير النواحي ، ج1، ص63.

[68] سورة العنكبوت ، الآية 69.

[69] عمر بن محمد، تعطير النواحي، ج1، ص 63.

العبادات؛ هذا الباب الذي قد يدخل منه الشّيطان للعبّاد. ومعاني الضّعف والانكسار في حضرة الجبّار دلّى عليه صائت الكسرة الذي يمثّل وصل السّين في الملفوظات: (فاسِ، راسِ، إيناسي، أنفاسي، الرّاسي، مقياسِ، قرطاسِ...)، لأنّ الكسرة "كسر الصّوت وخفضه ... واستغراق في انكسار الإيقاع النفسي"[70]. وفي ذلك يقول:

يا ربّ أدعوك بالأسما وأعظمها ** ** وأعظم الرّسل ذي الإحسان والباس
اجعل قلادة جيدي في أصابعه ** ** وارحم به قلبي المضنى به القاسي
وابعث له عند سمع النّظم مرحمة ** ** تنفي عليّ شقاواتي وإفلاسي[71]

فالطّريقة التّجّانيّة تمثّل الطريق الوحيد الذي يجعل النفس تجتاز فيه دون عقبات، ويحصل لها كلّ المرادات، وهذا ما دلّت عليه أصوات المدّ لأنّه عند النّطق بها يخرج الهواء دون حائل أو مانع، فطريق الشّيخ سيدي أحمد التّجّاني هو سبيل الله تعالى، لقوله: ﴿**واتّبع سبيل من أناب إليّ**﴾[72]. أما الطّرق الأخرى التي لا نبغي فيها وجه الله فقد تُعيقنا عقبات كثيرة تُثنينا عن السّير، وهي السّبل التي نهانا الله عنها، لقوله: ﴿**ولا تتبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله**﴾[73] . يقول الشّاعر:

---

[70] فيصل الأحمر ، الصوت والدلالة ، ص 179 .

[71] عمر بن محمد، تعطير النّواحي، ج1، ص 64.

[72] سورة لقمان ، الآية 15 .

[73] سورة الأنعام ، الآية 154 .

وما ظنونك بالورد الذي نظمت ** ** يد النّبوءة هل يبنى بلا ساس
وما تظنّ بمنهاج لسالــكه ** ** أمنًا من أهوال نيران وأرماس[74]

2- المستوى التّركيبي:

إنّ المستوى التركيبي يمثّل أحد مستويات التحليل اللغوي للنّص الأدبي فَبَعْد دراسة المستوى الصّوتي الذي يُعْنى بالأصوات فإنّ الدّارس الأسلوبي يهتمّ بدراسة تركيب الجمل الواردة في القصيدة، وذلك باستكشاف أنماط الجمل المكررة التي تصبح بتكرارها ملمحًا أسلوبيّا، وإبراز مدى تناسب هذه الظّاهرة الأسلوبيّة مع معنى ودلالة النّص من أجل الكشف عن جماليّاته وطاقاته الفنّيّة.

ويهتمّ المستوى التركيبي بالجمل وما يتعلق بها من "دراسة أطوال الجمل وقصرها، ودراسة أركان التركيب من مبتدأ وخبر، وفعل وفاعل، وإضافة وصفة وموصوف وغيرها، ودراسة ترتيب التركيب من تقديم وتأخير، إضافة إلى دراسة استعمال الكاتب للرّوابط المختلفة والضّمائر وأنماط التّوكيد، فَضْلاً عن دراسة الصّيغ الفعليّة وأزمانها والمبني للمعلوم ودراسة حالات النّفي والإثبات وتتابع عناصر الجمل ومبادئ الاختيار فيها ودلالة كل ذلك على خصائص الأسلوب"[75].

وهذا ما سنركّز عليه في هذا الجانب من البحث؛ الكشف عن الظّواهر التّركيبيّة التي وظّفها سيدي إبراهيم الرّياحي للتّعبير عن تجربة الرّوحيّة الخاصّة، لأنّ اختيار

---

[74] عمر بن محمد، تعطير النواحي، ج1، ص 64.

[75] أماني داوود سليمان، الأسلوبية والصوفيّة، ص 97.

تراكيب لغويّة مناسبة لتلك التّجربة، لها من القدرة ما يُمكّنها من إبراز الطّاقات الإيحائيّة لألفاظه وصِيَغِه.

أ- نظام الجملة:

تتكوّن القصيدة في بادئ الأمر من أصوات وكلمات وتراكيب تتألف فيما بينها وتنتظم "للوصول إلى أنظمة وأنساق وتراكيب وأبنية تفجّر الطاقة الشعريّة"[76]، فهي في الأساس "بناء متدامج الأجزاء، منظم تنظيما صارما"[77] وتكرار أنساق تركيبيّة معيّنة يشد انتباه القارئ ويجعله يبحث عن سرّ هذا التكرار، واستكشاف العلاقة الموجودة بين التّركيب والمعنى ومدى التّناسب بينهما.

والمتمعّن في "السّينيّة" يجد أنّ الشّاعر زاوج بين الجملة الفعليّة والجملة الاسميّة.

أ-1- الجملة الفعليّة:

طغت في "السّينيّة" الجملة الفعلية على الجملة الاسمية؛ إذْ وردت في مستهل القصيدة وفي نهايتها؛ أمّا في بدايتها فيتجلّى في قوله:

صاح اركب العزم لا تخلد إلى الياس ** ** واصحب أخا الحزم ذا جدّ إلى فاس
واشرح متون صباباتي لجيرتــها ** ** وحيّ حيّا بهم قد كان إينــاسي
و اقري السّلام على تلك المعاهد من ** ** حيران تلفظه ناس إلى نــاس[78]

وأمّا في آخرها، فيتجلّى في قوله:

---

[76] عبد الواحد حجازي، البنيات الأسلوبية في الشعر العربي الحديث، ص33 .

[77] عزّ الدين إسماعيل، مفهوم الشعر، مجلة فصول، ص 54 .

[78] عمر بن محمد، تعطير النواحي، ج1، ص 63.

رد ورده العذب واستنشق روائحه ** ** تظفر بأعطار ذاك الـورد والآس
واستعمل الجدّ في تحصيل واجبه ** ** إن لم تكن في بساط القرب ذا ياس
واهرع إليه إذا ما كنت ذا ظمـأ ** ** واسرع إلى الله مشاء على الـرّاس[79]

إنّ الدّلالة الزّمنيّة للفعل تتحقّق من أزمنة الفعل الثّلاثة (الماضي، المضارع، الأمر)، "والزّمن متعلّق بالفعل، فحدّ الفعل ما دلّ على زمان والزّمن أصلٌ في الفعل، فرعٌ في الاسم، فالفعل للزّمن مطلقا والاسم يدلّ عليه بمعناه الذي خُصّص له فقط"[80]. وهذا ما نلمحه في القصيدة، حيث وظّف الشّاعر المضارع والأمر، وإن طغى الثّاني على الأوّل. ومن أمثلة فعل الأمر: (اركب، اصحب، اشرح، اقري، حَيِّ، استعمل، واهرع، واسرع، وقُمْ، وانهض، واخلع...). ومن أمثلة الفعل المضارع، قوله: (يُبصر، تجنح، تبكي، تزفر، يحملني، يقلبني...).

منحت هذه الأفعال "السّينيّة" حركيّة وحيويّة، لأنّ الفعل يدلّ على الزّمن والحدث، بمعنى أنّه يدخل فيه عنصر الزّمن والحدث بخلاف الاسم الذي يخلو منه، والزّمن هو "حركة الوجود في المكان"[81]؛ وما يترتّب عن هذه الحركة من إحساس بالزّمن وتفاعل معه. ما يدلّ على أنّ الشّاعر يدعو السّامع إلى سرعة التّحرّك والتّوجّه إلى طريق

---

[79] المرجع نفسه، ص 64.

[80] ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2005، ص 101، 102.

[81] مالك المطلبي، الزمن النحوي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانيّة والحضاريّة، بيروت، عدد 40، 1986، ص 82.

الحقّ، والسّفر إلى فاس والتزام الشّيخ سيدي أحمد التّجّاني طلبا للعلم الباطن كما يفعل طلبة العلم الظّاهر، فيقول:

صاح اركب العزم لا تخلد إلى الياس ** ** واصحب أخا الحزم ذا جدّ إلى فاس[82]

فالعلم كما يقول الحكيم التّرمذي: "علمان؛ علم في القلب فذلك العلم النّافع، وعلم على اللسان فذلك حجّة الله على ابن آدم". وكما يقول سيدي محمد الحافظ المصري التّجّاني: "فمن ورث النّبوّة في ميراثها الظّاهري والباطني فقد استكمل الميراث، ومن ورث العلم الظّاهر دون الباطن فقد أخذ القشر وترك اللباب". والشّاعر – وهو الفقيه المشهور- يكشف للنّاس من خلال قصيدته بأنّ الشّريعة وحدها لا تكفي، بل لابدّ من حقيقة تدعمها وتهذّبها؛ فشريعة من غير حقيقة عاطلة، وحقيقة من غير شريعة باطلة. وهذه الحقيقة لابدّ أن يدركها الفقهاء.

كما أنّ حركيّة الفعل جاءت منسجمة مع دعوة الشّاعر المُريدَ خاصّة والمسلم عامّة لمجاهدة النّفس وتهذيبها بكثرة العبادات والطاعات، فعليه أن يكون في حركة دائبة ومستمرة بالجسد والقلب من أجل إرضاء الله عزّ وجلّ.

بل أكثر من ذلك؛ إذْ كما يدلّ الفعل على الحركة فهو "دالّ على عنصر الحياة"[83] أيضا، وهذا يكشف عن حرص الشّاعر الفائق على إحياء القلوب بالذّكر، يقول تعالى:﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾[84]. فيقول:

---

[82] عمر بن محمد، تعطير النواحي ، ج1، ص63.

[83] ياسين بن عبيد، الشعر الصوفي الجزائري, ص 231.

[84] سورة الرعد، الآية 28.

وما ظنونك بالورد الذي نظمت ** ** يد النّبوءة هل يبنى بلا ساس[85]

فالذّكر حياة القلوب وغذاء الأرواح، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت"[86]، فانظر كيف ضرب لنا مثلا بالميت والحي. فالذّكر بمثابة جهاز رقابي يجعل الإنسان دائما على صلة بالله عزّ وجلّ يشعر برقابته له، وبذلك يسمو إلى كلّ خير، ويرقى في مدارج الإيمان، ويبلغ درجات الكمال، ويحصل على أعلى مقامات الرّجال، فيكون فردا صالحا في المجموعة الإنسانيّة، يصلح في الأرض ولا يعثو فيها فسادا.

طغى على القصيدة فعل الأمر كما أسلفا القول، ومن ذلك: (اركب، اصحب، اشرح، واقري، حَيِّ، استعمل، واهرع، واسرع، وقُمْ، وانهض، واخلع...). وفعل الأمر يطلب تحقيق الفعل في المستقبل، فهو طلب ودعوة توجّه إلى المخاطب الذي إن كانت له تلبية واستجابة فإنّها لن تكون إلا في زمن الاستقبال، وقد وجّه الشّاعر الأمر للمخاطب من منطلق افتراض غفلته وسهوه وأنّ استجابته لتلك الدّعوة قد تكون في المستقبل العاجل أم الآجل. إذًا فالقصيدة وإن كانت في مدح شيخه إلا أنّها تمثّل دعوة من سيدي إبراهيم الرّياحي لكلّ محبّيه ومريديه ولكلّ مسلم لكي يتبعوه في طريقته؛ الطّريقة التّجّانيّة. وفي التزام شيخه؛ الشّيخ سيدي أحمد التّجّاني.

إضافة إلى الأمر وظّف الشّاعر الفعل المضارع، من ذلك: (يُبصر، تجنح، تبكي، تزفر، يحملني، يقلبني...) والمضارع يفيد معنى التّجدّد والاستمرار والامتداد، وعليه

---

[85] عمر بن محمد، تعطير النواحي،ج1، ص 64.

[86] الإمام النووي ، رياض الصالحين ، ص 318.

فالقصيدة دعوة تتجدّد في كلّ مرّة، وتستمرّ عبر الزّمان والمكان، فكلّ من يقرؤها أو يسمعها هو مدعو إلى سلك طريق الشّيخ سيدي أحمد التّجّاني إن أراد السّعادة في الدّارين؛ الدّنيا والآخرة. لأنّ الطّريقة التجانية مدرسة روحيّة تربويّة تعليميّة؛ تربّي وتعلّم، تؤدّب وتفقّه، مدرسة جامعة تجمع بين تنوير العقل، وتدريب الجسم، وسمو الرّوح من خلال تطبيق منهجها العرفاني العملي في الحياة اليومية الذي يرتكز على أسس ثلاثة؛ العلم والعمل والعبادة. فهي تسعى إلى سمو أفرادها فكريّا بالعلم لتحقيق التّقدّم، وتفعيلهم اجتماعيّا بالعمل لتحقيق الازدهار والرقي، وارتقائهم بالعبادة إلى مصاف الصالحين لتحقيق العدل والإحسان في كل مكان، وذلك كله لهدف أسمى هو مواصلة رسالة الرّسول الأعظم والنّبي الأكرم صلى الله عليه وسلم؛ ألا وهي نشر الإسلام في كل ربوع العالم لأنّه مبعوث للعالمين كافة.

أبدى الشّاعر حرصا فائقا على أن يوظّف الزّمن بالشّكل الذي يُعينه على بناء الدّلالة وتشكيلها وجعلها مؤثرة في قارئها؛ بدْءا بالدّعوة إلى التّحرّك لطلب طريق الله، ثمّ مواصلة الحركة المستمرّة في العبادة والطّاعة بالجسد، والحيويّة بالقلب بالذّكر وتلاوة القرآن ومناجاة الخالق الدّيّان، وهذا لمن أراد معرفة الحق سبحانه وتعالى، لقوله: ﴿**قل إن كنتم تحبّن الله فاتّبعوني يحببكم الله**﴾[87].

أ-2- الجملة الاسميّة:

هي الجملة المصدّرة باسم سواء أكان صريحا أم مؤوّلا، أو اسم فعل أو حرفا غير مكفوف مشبّه بالفعل التّام أو النّاقص، ومن أهم سمات الجملة الاسميّة أنّها تقبل دخول النّواسخ عليها بخلاف الجملة الفعليّة، وإذا دخلت النّواسخ على الجملة الاسميّة

[87] سورة آل عمران، الآية 31.

تحدث فيها تغييرا لفظيّا ومعنويّا في العلاقة الإسناديّة، فالجملة الاسميّة تتكوّن من مبتدأ وهو المسند إليه، وخبر وهو المسند.

وقد تواترت الجملة الاسميّة في القصيدة في المنتصف وفي الأخير، كما في قوله:

ذاك الذي نال ما لم يحوه بشر ** ** من العطايا ولم يعرف بمقياس
غوث البرايا أبو العباس أحمد من ** ** معناه أعظم أن يجلى بقرطاس
روح الوجود وقطب الكون مركزه ** ** مدده سرّه السّاري إلى النّاس
رمز الوجود وسرّ الحقّ طلسمه ** ** مكنونه كنزه المخفي بحرّاس
حقيقة الكون معنى السّرّ مجمعه ** ** فيض الإله بلا لبس ولا باس[88]

والجملة الاسميّة تدلّ على الثبات والسّكون لأنّ "الاسم يثبت المعنى للشّيء من غير إشعار بتجدّده شيئا فشيئا بخلاف الفعل الذي فيه هذا الإشعار بالتّجدّد جزْءًا بعد جزء"[89]. فالشّاعر هنا يدعو إلى الثّبات على الطّريقة التّجّانيّة بعد الانخراط في سلكها، لأنّ الشاعر وغيره من الصوفية ثابتين على هذا الطريق – الطريق إلى الله - لا يغيّرونه أبدا مهما حصل لهم، كما أنهم ثابتون على حبّهم لله لا يجدون في أنفسهم تبديلا ولا تغييرا، فهم كما قال تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم**

---

[88] عمر بن محمد، تعطير النواحي، ج1، ص 62.

[89] محمد مفتاح، التلقي و التأويل, مقاربة نسقية, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, المغرب, ط02 ,2001, ص 21

مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[90]. وهذا صعب إلا بالالتجاء إلى الله تعالى بالدّعاء والتّضرّع تثبيت المؤمن على طريق الحقّ إلى آخر يوم في حياته، وهذا ما عبّرت عنه الجمل الاسميّة الواردة في الأخير.

لا يخفى على أحد ما للتّنوّع والتّلوّن في التّركيب الجملي من أثر بارز في إظهار القصد الذي ينشده منشئ التّركيب أو النّص، هذا إذا كان المنشئ إنسانا عاديّا، فما بالك ونحن نستقصي ذلك التّنوّع في شعر قد عَلَتْ فيه التّراكيب على سيرتها المعهودة لأنّها من نَظْم فقيه صوفي متبحّر في علم الشّريعة وعلم الحقيقة، ولهذا جاءت تراكيبه الجمليّة في القصيدة تكشف عن سرّ السّير إلى الله؛ إذ بدأ بالجمل الفعليّة الدّاعية إلى التزام الشّيخ سيدي أحمد التّجّاني والسّفر إليه في فاس، ثمّ أعقبها الجمل الاسميّة التي تحثّ على الالتزام بالمنهج حتى النّهاية رغم العوائق واللائق، والثّبات يتطلّب جهدا كبيرا وعملا جادّا متواصلا وهمّة عالية دلّت عليها الجمل الفعليّة التي أعقبت الجمل الاسميّة، وهذا كلّه يحتاج تثبيتا من المولى عزّ وجل باللجوء إليه دوما وأبدا عبّرت عنه الجمل الاسميّة في الأخير.

3- المستوى الدّلالي:

تكشف القصيدة عن ظهور محور دلالي قائم على ثنائيّة متقابلة هي (القوّة والضّعف) تعادل على نحو ما الثنائية (حضور، غياب)، قوّة الإيمان التي أعطت القوّة لأهل الله، وصدقهم الذي أعطاهم قوّة السّند لطرقهم، وإخلاصهم لله أعطاهم قوّة الدّعوة إلى الله وقوّة الاستمرار والمواصلة. وفي المقابل نجد ضعف النّفس البشريّة أمام شهواتها ونزغاتها، وأمام وساوس الشّيطان، وأمام هوى النّفس، ليعكس نوعا من

[90] سورة الأحزاب، الآية 23.

الصّراع الدّائم والمستمر بين قوى الخير وقوى الشّرّ، بين قوى الباطن وقوى الظّاهر، بين جنود الرّحمن وجنود الشّيطان، تجلّى ظاهرا في الإنكار على أهل الله تعالى.

ولتغلّب النّفس على ضعفها بشتّى أنواعه جاءت القصيدة لتكشف عن الطّريق الصّحيح، والمنهج الواضح والمسلك النّاجح؛ وهو اتّباع الشّيخ سيدي أحمد التّجّاني والانخراط في طريقته التّجّانيّة والجدّ في السّير في طريقه بالتزام العبادات والأوراد والأذكار وغيرها حتى يحصل للنّفس مبتغاها، كما حصل للشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي الذي عزم على تهذيب نفسه والسّير بها إلى الله برغم مكانته العلميّة المرموقة في جامع الزّيتونة العريق، فالتحق بالرّكب السّائر إلى الله والتزم الشّيخ سيدي أحمد التّجّاني وعكف على اتّباع منهجه العرفاني، وثبت عليه إلى أن تغلّب على كلّ العوائق وتمّ له الوصول إلى المقام الموعود المرتجى.

فالطّريق الذي سلكه آتى أكله، ولهذا جعل قصيدته دعوة لكلّ محبّ ومريد ومؤمن ومسلم لاتّباعه ليحصل على مراده ويسعد دنيا وأخرى، فخير الأدلاّء من خَبَر الطّريق وعرف مطبّاتها وزلاّتها، لأنّه كما تخلَّصَ منها وتجاوزها يمكنه أن يُخلِّصَ غيره ويوصله بسلام. على عكس مَنْ لم يدرك الطّريق وهو يصفها لغيره فقد يهلك وهذا ما يحدث في عالمنا الإسلامي.

وفي الأخير يمكن أن نخلص إلى النّتائج الآتية:

- ✓"السّينيّة" قصيدة في حبّ الشّيخ سيدي أحمد التّجّاني تصف تجربة الشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي الخاصّة التي عايشها بكلّ وجدانه، وتدعو المتلقّي لخوض التّجربة والدّخول فيها لمعرفة التّصوّف؛ فالتّصوّف حال وليس مقال، ففرق بين من عايش التّجربة حقيقة، ومن يتحدّث عنها نظريّا.

- ✓"السّينيّة" نداء ودعوة لكل فقيه عالم ومسلم عاقل يريد الكمال والصّلاح بالإسراع إلى السّير إلى الله وذلك باتّباع الشّيخ سيدي أحمد التّجاني، والانخراط في طريقته، والجدّ في الطّلب بمجاهدة النّفس.
- ✓"السّينيّة" تقدّم الدّليل والبرهان على علو مكانة الشّيخ سيدي أحمد التّجّاني وقوّة سند طريقته، وصدق دعواه، ما أدّى إلى سرعة انتشارها، وذلك حتى لا يبقى أدنى شكّ في قلب المؤمن ليلتحق بالرّكب السّائر إلى الله.
- ✓تكشف "السّينيّة" عن أسرار الوصول إلى معرفة الله عز وجل، وتحدّد الطّريق الواجب سلوكه؛ أوّلا: التزام الشّيخ سيدي أحمد التّجّاني والانخراط في حزبه. ثانيا: الثّبات على هذا الطّريق لصعوبة المسير فيه. ثالثا: الجدّ أثناء السّير بالعبادات والطّاعات والأذكار والأوراد والعمل الصّالح... إلخ. رابعا: الالتجاء إلى الله بالتّضرّع والتّوسّل والدّعاء من أجل التّثبيت على طريق الحقّ.
- ✓تشير "السّينيّة" إلى الحلّ الذي يخلّص المسلمين ممّا هم فيه من تشتّت ونزاع، وفرقة وانشقاق؛ ألا وهو الحبّ. إنّ الحبّ هو الدّواء الشّافي لجميع القلوب؛ لأنّه بالحبّ نسامح، وبه نعفو، وبه نحسن للغير، وبه نقدّم خدماتنا للآخر دون طمع في أجر أو شكر، وبه نعمّر الأرض، وبه نصلح، وبه نكون رسل محبّة وسلام ننشر العدل والإحسان بين شعوب العالم، وهذا كلّه لله عزّ وجلّ، فمَن أحبّ الله يتّبع رضوانه ويتجنّب غضبه وخسرانه.

المصادر والمراجع:

1-إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية.

2-أحمد الأزمي، الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ج2.

3-أحمد كاظم عماش العيساوي ، دلالة الصوت على المعنى ، كلية الدراسات القرآنية، جامعة البابليون، العراق ، 2016/11/28، 18:16. www.uobabylon.edu.iq

4-الإمام البخاري، الصحيح، ج1.

5-الإمام النووي ، رياض الصالحين .

6-أماني داوود سليمان، الأسلوبية والصوفيّة، دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2002.

7-ابن عربي، ترجمان الأشواق.

8-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م4.

9-الحاج علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس سيدي أحمد التجاني، تح: محمد الراضي كنون، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 2011، ج1.

10-الزركلي، الأعلام .

11-سكيرج ، رفع النقاب.

12-شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج3.

13-شيخ سيدي محمد مناشو، قمع التعصب وأهواء أعداء التجاني بالمشرق والمغرب، دار التجاني، الوادي، الجزائر.

14-عبد الجبار أبو بكر، الحجاج الفلسفي وإشكالية المشترك اللفظي ، الحجاج مفهومه ومجالاته ، ج2 .

15-عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي وآليات التأويل قراءة في الشعر المغاربي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، ج3، 1991.

16-عبد الواحد حجازي، البنيات الأسلوبية في الشعر العربي الحديث.

17-عبد الوهاب عزام، التصوّف وفريد الدين العطار، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دط، 1945.

18-عمر بن محمد بن علي، تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي، المكتبة العتيقة، تونس، ج1.

19-فريد الدين العطار، منطق الطير، تح: بديع محمد جمعة ، دار الأندلس ، بيروت ، ط2 ، 2002 .

20-فيصل الأحمر، الصوت والدلالة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، فسنطينة، الجزائر، م أ، ع 32، ديسمبر 2009.

21-كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر ، ط1، 2000 .

22-كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات العربية، مكتبة الشباب ، القاهرة ، دط، دت.

23-مالك المطلبي، الزمن النحوي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانيّة والحضاريّة، بيروت، عدد 40، 1986.

24-محمد الحافظ المصري، الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية بغرب إفريقيا، شيء من جهاده وتاريخ حياته، الزاوية التجانية، مصر، دط، 1383 هـ

25-محمد الحبيب سلطاني، الدور الإصلاحي لسيدي إبراهيم الرياحي، ضمن كتاب: الفرد الواعي ضمان لبناء المجتمع واستقرار الوطن، الزاوية التجانية بالوادي، الجزائر، 2016.

26-محمد مفتاح، التلقي و التأويل، مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط02 ،2001،.

27-محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2005.

28-محي الدين الطعمي، معجم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام واليقظة، ص 15 .

29-هيفرو محمد علي، جمالية الرمز الصوفي، النفري، العطّار، التلمساني، دراسات التكوين والتأليف، دمشق، ط1 ، 2009 .

30-ياسين بن عبيد، الشعر الصوفي الجزائري المعاصر، المفاهيم والإجازات، ياسين، وزارة الثقافة، الجزائر ، دط، 2007.

31-Jacques Fontanilles، sémiotique de discours ، presses univesitaires de Limoge، 1998، p 33

مختصر سيرة الأستاذ عبد الخالق ميساوي

تاريخ الولادة 13 ديسمبر 1976م

متزوج وأب لطفل (وفي انتظار الثاني إن شاء الله)

يتكلم علاوة على الفرنسية كل من الإيطالية والألمانية والإسبانية

تاريخ حصوله على الباكالوريا رياضيات جوان 1995م

له دراسات في الأنفوغرافيا لم تكتمل سنة 1999م

له دراسات معمقة في الرياضيات التطبيقية لم تكتمل سنة 2000م

متحصل على الشهادة الوطنية لمهندس في الهندسة المدنية من المدرسة الوطنية للمهندس بتونس العاصمة سنة 2000م

متحصل على الإجازة في التصرف والمحاسبة 2007م

درس العلوم الشرعية في عديد المؤسسات والجمعيات مثل مدرسة النخلة والجمعية التونسية للعلوم الشرعية وجمعية دار الحديث الزيتونية وجامع الزيتونة (التعليم الزيتوني العتيق).

تحصل على الماجستير في المالية الإسلامية برسالة عن العملات الرقمية سنة 2018م

قام بالتدريس سابقا في جامع الزيتونة المعمور وبالفرع الزيتوني بولاية باجة.

وهو حاليا بصدد التحضير لرسالة الدكتوراه الموحدة في العلوم الإسلامية بعنوان **منهج الشيخ الأحسن البعقيلي في الاستدلال وبناء الفروع على الأصول.**

وللأستاذ مطلب لإتمام الماجستير في قانون الشغل

وكذلك ملف للتدريس في الجامعة الزيتونية.

"الجهود الفقهية لسيدي إبراهيم الرياحي التونسي"

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه وتابعيهم إلى يوم الدين.

أيها الجمع الكريم، تحية وسلاما وبعد:

نجتمع اليوم في هذا الملتقى المبارك لنتدارس شخصية فذة من رجالات الإصلاح في تونس، لا تفي الأقلام بوصفها وتعداد خصالها. فنكتفي منها بالنزر القليل فإن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

وفي هذه المداخلة، سنتناول الجهود الفقهية لشيخنا الرياحي تناولا إجماليا دون أن نغرق في التفاصيل أو نتعمق في التحليل والتأصيل. فمرادنا مجرد التنبيه على قيمة الرجل العلمية والتنويه بآثاره الفقهية.

فالرجل يمثل فلتة من فلتات عصره والعصور التي بعده، قلما توجد خطة شرعية لم يتولها ويبرز فيها: فهو القاضي، وهو الباش مفتي/ رئيس الفتوى الذي يراجعه المفتون والقضاة من كامل البلاد في أحكامهم وفتاويهم، وهو إمام الجامع الأعظم وهو المدرس الذي تلمذ له جلة العلماء وفطاحلتهم، وهو عضو مجلس النظارة العلمية التي تشرف على شؤون التعليم بالجامع الأعظم... فجمع بين وظائف لم تجتمع لغيره لا قبله ولا بعده.

وقد بلغ من شدة ورعه أنه فر من خطة القضاء لأول مرة حتى تقلدها شيخه إسماعيل التميمي. كما لم يقبل خطة رئاسة الإفتاء حتى أكره على قبولها إكراها. ولأجل خصاله المتميزة عرف بالجمع بين العلم والصلاح وكان من عرفه يقارنه بالعز بن عبد السلام سلطان العلماء لما له من شدة في الحق مع الملوك فضلا عن العوام.

وقد ترك شيخنا العديد من الفتاوى والأقضية والآثار الفقهية ذكر منها صاحب تعطير النواحي جملة معتبرة منها:

- إفتاؤه للوزير شاكير صاحب الطابع حال توليه رئاسة الفتوى بجواز أن يخلص من الناس زكاة سنتين أو أكثر وذلك بشروط، مراعاة لحاجة الدولة للنفقات ودفع الأضرار عن الرعية.
- فتوى في عد تكفير المرأة التي لا تدري هل الرسول مخلوق أم لا؟ وبقائها في عصمة زوجها.
- عدم تكفير من دعي ليحلف على المصحف فقال ايتوني به وأنا أعفس عليه بقدمي. ورغم فظاعة هذا القول إلا أن شيخنا خرجه مخرجا حسنا واجتهد في تأويله بما يدرأ عن قائله الحد.
- فتوى في شروط أكل طعام أهل الكتاب وفيها تفصيل لما حرم عليهم كما هو مذكور في شرعنا.
- فتوى في جواز اعتماد الحساب والتنجيم في الإمساك وذلك لمن لم يكن عارفا بالفجر.
- فتوى حول الأحباس وإثبات المحبس ملكيته لها يوم التحبيس
- ومعها فتوى منع إنشاء حانوت من صحن المسجد ليكون نفعه للمسجد وفي هذه الفتوى كلام نفيس حول المصالح المعتبرة والملغاة والمرسلة.
- فتوى حول إزالة النجاسات ومسائل في الطهارة.
- فتوى حول الدية إذا تأخر الموت عن سببه (التدمية).

- فتوى حول جواز الاحتماء بالأجنبي إذا خشي المحتمي على نفسه من الظلم
- فتوى الكولونيا: وفيها عدم نجاسة الخمر إذا استحالت/تغيرت لأن النجاسة لا تتعلق بعينها وإنما بمعنى فيها وهو النشوة وفيها بيان لمعنى دوران الحكم مع العلة وجودا وعدما

وغير هذه الفتاوى والأقضية كثير كما له مراسلات شديدة اللهجة مع الحكام لينبههم إلى المظالم التي يقع فيها أعوانهم ...

ومن أهم مسائله العلمية رسالته المسماة : **قطع اللجاج في نازلة أولاد سليمان ابن الحاج** وهي من الكنوز الفقهية القيمة لما احتوت عليه من مباحث ولكونها موجهة إلى قضاة ومفتين راجعوه في حكمه في إحدى النوازل : فقد انتقل فيها الشيخ باقتدار وسلاسة من فقه النوازل إلى علم القواعد الفقهية إلى مباحث الألفاظ في علم أصول الفقه مرورا بعلم المنطق وصولا إلى فقه المواريث وأحكام القضاء إلى مسائل الفقه المذهبي ومراجعه المعتمدة عند المالكية رجوعا إلى فقه النوازل من جديد ثم ختمها بتقرير نفيس في مبحثي تعليل الأحكام الشرعية وكيفية تنزيل الأحكام المقررة في الكتب على النوازل وكيف يكون التفريع والتأصيل إلى جانب أمور دقيقة يعرفها أهل التخصص مثل تخريج المناط وتحقيق المناط بمعنييه العام والخاص وغيرها...

فكانت رسالته بحق مرجعا جامعا يصلح لأن يدرس لطلبة العلم والباحثين في علوم الفقه.

وتظهر عبقرية الشيخ في هذه الرسالة وغيرها في جمعه بين المعقول والمنقول وإحاطته بأقوال المتقدمين دون أن يسقط في التقليد بل كان مجتهدا يحرر الأقوال ويرجح بينها وينزل على الواقع الأحكام المناسبة بحسب الظروف والملابسات.

وهنا نذكر حادثة وقعت له حال إكراهه على قبول القضاء في زمن حمودة باشا فقد سأله الشيخ ابن الخوجة عما أعده من كتب النوازل للقيام بخطته ففاجأه بأنه لم يعد منها شيئا ولا يحمل معه سوى شرح ابن رحال على مختصر خليل. فالرجل لا يعتمد أقضية غيره ليعيد الحكم بها دون تأمل وهو ما يعرف في مصطلح القانونيين اليوم بفقه القضاء وإنما يرجع إلى نفس المراجع التي اعتمدوها ويقضي بما أراه الله دون السقوط في التقليد في كل نازلة.

وهذا ما نلمسه في الواقعة الشهيرة التي جدت بينه وبين القاضي البحري وهذه النازلة تتعلق بحق حضانة اليتيم وهذا ما نلمسه في الواقعة الشهيرة التي جدت بينه وبين القاضي البحري وهذه النازلة تتعلق بحق حضانة اليتيم إذا تزوجت أمه. ولئن وقع تعارض بين الشيخين ابن أبي الضياف وسيدي عمر الرياحي صاحب التعطير في نقل القصة وعزو الأقوال لأصحابها، فإن الثابت أن الشيخ راعى مصلحة اليتيم في الحكم أما البحري فقد أراد معارضته بالنقول وكتب المذهب. فخلاصة هذه النازلة أن سيدي إبراهيم كان يراعي المصلحة وفقه الواقع في أحكامه بينما ظل غيره أسير الكتب والنقول. ولكونه فقيها مجتهدا مجددا، فما أكثر اصطدامه بالمعارضين الجامدين على أقوال العلماء دون قراءة للواقع الموضوعي الذي يتجدد ويتطلب اجتهادا في فهمه قبل تنزيل الأحكام عليه.

وللشيخ رسالة نفيسة رد فيها على الشيخ الغبريني تلميذ ابن عرفة وعلى الفقيه بدر المغربي والشيخ الشيبي القيرواني. وفيها تفنن الشيخ في ذكر شروط العلة المعتبرة عند الأصوليين وأتى بكلام نفيس في مباحث العلة والمعلول وفي فن المنطق. وهي رسالة جليلة جديرة بالبحث والدرس لمن طلب هذه النفائس العلمية.

كما كتب في رد له على قاضي رأس الجبل حول مسائل من أحكام القضاء وذيلها بجملة معتبرة من التحريرات ذكر فيها ترتيب الأقوال بين علماء المذهب وكيفية الترجيح بينها عند التعارض ومنهج المؤلفين في الفقه المذهبي وما ينبغي عليهم مراعاته من تقديم وتأخير ...

وله رسالة في علم الأصول بين فيها حقيقة السبب والشرط والفروق بينهما فأتى فيها بما يسحر العقول لقوة تغلغله في علم الفقه أصولا وفروعا...

وبالجملة ففتاوى الشيخ كثيرة وثرية بالمادة العلمية ولعل من أهمها مسألة تحرير العبيد وقد أفردت لها كلمة خاصة في هذا الملتقى.

والمقام لا يتسع لذكر كل فتاوى الشيخ وآثاره الفقهية إلا أن الطابع المميز الجامع لها هو أن الرجل كان فريد عصره، بل كان يمثل ثورة علمية وفكرية في زمن غلب عليه الجمود. ولنعرف حجم هذه الثورة، يكفي أن نرى تلاميذه الذين حملوا راية التجديد من بعده من أمثال ابن أبي الضياف والمصلح خير الدين باشا والوزير محمد العزيز بوعتور والشيخ محمد الطاهر بن عاشور الجد والشيخ سالم بوحاجب..... والقائمة تطول.

لقد كان سيدي إبراهيم الرياحي نقطة تحول فارقة في تاريخ تونس الحديث. وما هذا الملتقى إلا لمسة وفاء لرجل من رجالات العلم والأدب ومدرسة في التجديد والإصلاح. فنسأل الله أن يجازيه عنا خير الجزاء وأتمه وأعمه.

آمين

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

فإن هذه ترجمة ملخصة مختصرة من حياة العبد الفقير يوسف بن الشيخ عبدالرحيم الفوتجلي اللبوي فإن الكتابة عن نفسه لمن أوضح البيان لقوله تعالى (بل الإنسان على نفسه بصيرة).

فإني ولدت بين أبوين سنيين صوفيين السيد الجليل الشيخ عبد الرحيم صو اللبوي والسيدة التقية العفيفة مولاتي مريم كركا بضم الكاف وسكون الراء ومعناه في العربية رمضان مبارك، في ولاية فوت جلون في مدينة لابى labe في قرية بعيدة من المدينة بأربعة عشر كلم وتسمى القرية تنترنْ سنة ١١/٠٩/١٩٩٠م . والحمد لله نشأت في بيت يهتم بالعلم والمعرفة والتصوف قديما إلى وقتنا الحالي وبيئتنا بيئة سنية اشعرية مالكية صوفية فأخذت مبادئ العلوم من القرآن و العقيدة والفقه في دار الوالد إلى أن أذن لي الوالد بالسفر إلى نيجريا لطلب العلم وذاك في سنة ٢٠٠٧ فلما وصلت الى نيجريا التحقت بمدرسة البيان في ولاية جوس فوجدتها مخالفة لما تعلمت من الوالد أطال الله بقاءه في العقيدة والفقه ثم خرجت منها ورجعت إلى بلدي غينيا كوناكري وذلك في عام ٢٠٠٨ وفي هذا العام اذن لي الوالد السفر إلى سينغال في منطقة فوت تور بكجوى ودخلت هذه القرية مع الوالد وقدمني إلى الشيخ فريد عصره فقيه الأمة العالم العلامة الشيخ جرن مود بوبكر جل فأخذت منه متون الفقه المالكي المقدمة العزية والرسالة ومصباح السالك ومتن ابن عاشر ومختصر خليل بجزأين وتحفة الأحكام وأخذت منه البردة والهمزية ومقصورة ابن دريد ومقامات الحريري والمعلقات السبع، فأخذت أيضا منه في النحو الآجرومية وملحة الإعراب وألفية ابن مالك وأخذت منه في الأصول

الورقات ومراقي السعود وأخذت منه في علم الحديث البيقونية وألفية العراقي وغير ذلك من العلوم ثم اذن لي في الطريقة التجانية و في التدريس ومكثت مع هذا السيد الجليل جرن مود بوبكر إلى أن توفي رحمه الله في عام ٢٠١١ فرجعت إلى فوت جلون وأجلسني الوالد للتعليم في زاويته المباركة في قريتنا تنترن حتى عينت الأمين العام للشؤون الدينية و تعليم الثقافة الإسلامية والزوايا والمساجد وبهذا المنصب استطعنا ان نؤسس المدارس العلمية والزوايا. وقد قدمني في الطريقة التجانية كثيرا من المشايخ الأجلاء رضي الله عنهم أجمعين. ومنهم الشيخ العارف بالله الحاج ألفا عبد القادر اللبوي وهو أخذ عن الشيخ فريد عصره الولي الكامل الحاج ابو بكر زيد الفوتجلي مولدا ونشأة البنسوي قرارا ودفنا صاحب الكتاب مفتاح السعادة الأبدية في مطالب الأحمدية وهو أخذها عن السيد مولانا إدريس العراقي الفاسي وهو عن السيد مولانا أحمد سكيرج وهو عن الشيخ العبدلاوي وهو عن خليفة مولانا الشيخ رضي الله عنه السيد الحاج علي التماسني رضي الله عنهم أجمعين وهو عن القطب المكتوم أبي العباس التجاني وهو عن سيد الوجود وعلم الشهود مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجزاه الله عنا كل خير. وهذا سندي في الطريقة التجانية. والسلام

مداخلة للأخ **يوسف بن عبد الرحيم اللبوي الفوتجلي التجاني** من دولة غينيا كوناكري

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ولي الصالحين القائل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح الخاتم الناصر الهادي وعلى آله الطيبين الطاهرين.

يا ساداتنا الحضور والأساتذة الكرام والمشايخ العظام نيابة عن فقراء الصوفية عامة والتجانية خاصة في بلد غينيا كوناكري أبلّغ إليكم أكرم التحية وأفضلها وأشرفها وأطيبها وهي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإنّه شرف لبلد غينيا كوناكري للمشاركة في مثل هذه الندوة الكريمة العلمية لسرد أخبار الصالحين الذين بذكرهم تنزل الرحمة كما قال القائل:

أسرد حديث الصالحين وسمّهم ** ** فبذكرهم تتنزّل الرحمات
واحضر مجالسهم تنل بركاتهم ** ** وقبورهم زرها إذا ما ماتوا

فإن الحديث عن هذا العلم من أعلام الأمة الإسلامية الذين خدموا الدين والمسلمين وبذلوا نفائسهم في تعليم الدين ونشره بين الأمة الإسلامية هو حديث عن الإسلامية ورجالها فإن شخصية مولانا السيد شيخ الإسلام ومفتي الديار التونسية وإمامها وكبارها الشيخ إبراهيم الرياحي رحمه الله ورضى عنه شخصية بارزة يضرب بها المثل في العلم والمعرفة والصلاح وصدق المحبة رضي الله عنه فقد ترجم له كبار العلماء من الأمة الإسلامية قال مولانا الشيخ أحمد سكيرج رضي الله عنه في كتابه كشف الحجاب (منهم - يعني من أصحاب الشيخ التجاني - علامة الزمان بالإطلاق وفرد

الأوان بلا شقاق خاتمة المحققين وفاتحة أهل اليقين الولي الكامل والحجة الواصل البركة الأجل والغطريف الأفضل أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي رضي الله عنه. هذا السيد الجليل من أفاضل أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين حصلت لهم العناية الدائمة ونالوا الخلافة بعده في الهداية والارشاد والأخذ بيد العباد أخذ الوالد الشفيق بيد أعز الأولاد،) انتهى وقال صاحب المنية عند تعداد العلماء الذين أخذوا عن الشيخ رضي الله عنه.

والتونسيّ العالم الرّياحي ** ** جمع بين العلم والصلاح

وقد ترجم له غير واحد من العلماء. فإن سيدنا الشيخ العارف بالله إبراهيم الرياحي رحمه الله ورضي عنه قد نال قبولا في قلوب الأفارقة من أتباع الشيخ مولانا التجاني رضي الله عنه حتى صار رمزا من رموز المحبة لجناب الشيخ رضي الله عنه لما رزقه الله صدق المحبة لهذا السيد الشيخ رضي الله عنه ،يقول بعض العارفين رحمهم الله (من دخل من باب المحبة قُرّب ورسخ ومن دخل من باب غيره طُرد وانسلخ). فإنّ مما نشعر به عند الحديث عن مولانا الشيخ إبراهيم الرياحي رحمه الله ورضي عنه هو العلم والمعرفة والرحمة والإصلاح فإنّ مولانا الشيخ إبراهيم الرياحي لم يكن عالما فحسب بل كان مشاركا لأهل زمانه في الصلاح والإصلاح وسفيرا لقومه وبلده تونس مما سبّب له انتشار صيته في جميع أنحاء العالم وقد كان علماء الأفارقة اهتمام كبير لأجوبته العلمية وفتواه وآراءه لكونه من كبار علماء المالكية في عصره كيف لا وقد نشأ في بيئة علمية سنية أشعرية مالكية صوفية وصار ملحوظا عند العامة والخاصة. فإن الشيخ رضي الله عنه قد سلك في الطريقة التجانية على يد الخليفة الاعظم مولانا الشيخ العارف بالله سيدي علي حرازم رضي الله عنه في عام ١٢١٦ هجرية حين زار الديار التونسية وهو

يريد الحرمين الشريفين بإذن من مولانا الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه وكان قبل ذلك على الطريقة الشاذلية. ولازم الشيخ علي حرازم رضي الله عنه طول إقامته بتونس حتى ظفر بأعظم المنى، وجرى بينهما أشياء ذكرها تطول وقال مادحا شيخه السيد علي حرازم رضي الله عنه بقصيدة مطلعها

كرم الزمان ولم يكن بكريم ** ** وصفا فكان على الصفاء نديمي
وأفاض من نعم عليَّ سوابغا ** ** لله يشكرها فمي وصميمي
عظُمت على الشعر البليغ ربما ** ** عجز الثناء عن الوفاء بعظيم
وأجلها نظري إلى ابن حرازم ** ** وتمتعي من وجهه بنعيم

وقد قال له الخليفة الأعظم مولانا علي حرازم رضي الله مكاشفة (ستسافر إلى مدينة فاس - حرسها من كل بأس- إذا وصلت بفاس فابدأ بزيارة مولانا الشيخ القطب الجامع المكتوم فقد نفّذ وصيته حين زار مدينة فاس نيابة عن شيخه الصالح الكواش عند اعتذاره للقيام بهذه المهمة لطلب المَيْرة عند السلطان المغربي مولاي سليمان لسبب ما اعترى البلاد التونسية من المجاعة. وكان سفر الشيخ إبراهيم الرياحي رضي الله عنه سفرا روحانيا حيث كان مصداق كشف الولي الصالح خليفة الشيخ رضي الله عنه سيدي علي حرازم رحمه الله ومن المعلوم أن الشيخ علي حرازم كان قد أخبر سيدنا إبراهيم بهذه الرحلة واوصاه ان يهتم بلقاء مولانا الشيخ ابي العباس التجاني رضي الله عنه، فلما وصل مولانا الشيخ إبراهيم الرياحي رحمه الله إلى مدينة فاس بدأ بدار شيخه مولانا الشيخ ابي العباس التجاني رضي الله عنه فكان الشيخ قد أرسل من يرصد به، عندما وقف في باب الدار سأله أأنت إبراهيم الرياحي قال نعم قال ؛ الشيخ قد أذن لك بالدخول فلما دخل الدار وخرج عليه الشيخ رضي الله عنه وقال له كنت في جنازة

شيخك في تونس. وجدد الطريقة على يده الشريفة ولازم الشيخ ايام إقامته بفاس وفي ذلك يقول في تاليفه مبرد الصوارم والأسنة في الرد على من أخرج مولانا الشيخ التجاني رضي الله عنه عن دائرة أهل السنة والجماعة (أعلم أن الشيخ المشار إليه من الرجال الذين طار صيتهم في الآفاق وسارت بأحاديث بركاتهم وتمكنهم في علمي الظاهر والباطن طوائف الرفاق وكلامه في المعارف وغيرها من أصدق الشواهد على ذلك ولقد اجتمعت به في زاويته بفاس مرارا وبداره أيضا وصليت خلفه صلاة العصر فما رأيت أتقن لها منه ولا أطول سجودا وقياما وفرحت كثيرا برؤية صلاة السلف الصالح) الخ. ومما يدل على قوة انتماء الشيخ إبراهيم الرياحي رحمه الله إلى جناب مولانا الشيخ رضي الله والانحياز إلى منهجه وطريقته قوله في قصيدته الشهيرة.

ربي إني صدقت كل ولي ** ** راعيا قدرهم بعين احترام
غير أن ابن سالم هو شيخي ** ** وملاذي وعمدتي وإمامي
في هواه المطاع طاوعت عيني ** ** وعلى بابه ضربت خيامي
إن كان راضيا فذلك فوزي ** ** بجميع المنا وحسن الختام

فقد حاز السيد إبراهيم الرياحي قصب السباق في مدح مولانا الشيخ التجاني رضي الله عنه حينما نسجت له يد القدرة نظم قصيدته السينية التي سارت صيتها في الآفاق واهتزت بها الأرواح وتمتعت بها الاسماع حتى استنزل بها الرحمة والمغفرة ونالت قبولا عند جميع الفقراء حتى قيل ما مدح الشيخ رضي الله بأفضل منها وقال مولانا السيد العربي السائحي ان الدعاء عقبها مستجابة. وهذه القصيدة ان دلت على شيء إنما تدل علي تبحر صاحبها في محبة الشيخ رضي الله عنه والاكتفاء به عن غيره من الأولياء وذلك في البيت الشعري من القصيدة

لا يبصر الحسن إلا في وجوهكم ** ** وليس يجنح للحب بوسواس

وقد غرق سيدنا الشيخ إبراهيم الرياحي رحمه الله في حضرة الحب لهذا السيد القطب المكتوم حتى فني عن نفسه وهويته إلى هوية الشيخ رضي الله عنه. ولذا نال من الشيخ رضي الله عنه قبولا ومددا وعبر عن ذلك في البيت الشعري

أعني التجاني تاج العارفين ومن ** ** بسابغ الفضل من عرفانه كأس
ومن محبته ديني وخلته ** ** عقلي وروحي وجلاسي وأحداسي
ومسمعي وفؤادي وانبساط يدي ** ** ومقلتي ولساني بين جلاسي

فإنما ما وصل اليه من المحبة لهذا السيد الكبير مولانا الشيخ رضي الله عنه من أعلى مراتب الحب. وفي ذلك يقول مولانا الشيخ العربي السائحي فيما رواه مولانا سيوطي الطريقة الشيخ أحمد سكيرج رضي الله عنه في كتابه كشف الحجاب اثره سرده القصيدة (وهذه القصيدة لها تأثيرفي نفي الكروب وانشراح القلوب كما جربت لكل من تلاها وقد بلغني على لسان الثقة أن الولي الصالح سيدي العربي السائحي رضي الله عنه حضر بحضرته من يحسن السماع من الإخوان فأمره بقراءة هذه القصيدة السينية المذكورة فلما أنشدها بين يديه تواجد تواجدها لم يعهد مثله منه وبعد تمامها قال للحاضرين ان صاحب هذه القصيدة ما قالها إلا على وجدان واستغراق في حب الشيخ رضي الله عنه وتوحد مرتبته العليا التي لا يشاركه فيها غيره الجامعة الفردانية والقطبانية والختمية والكتمية ولم يمدح الشيخ رضي الله عنه بمثلها ولا ما يقاربها ثم قال انكم أولادي إنه اذا ضاق على أحد أمر وقرأها إلا وفرج الله كربه وليقرأها في خلوة فإن الإجابة تتخلف عنه إن شاء الله تعالى). وهذه كلمات وجيزة عن الشيخ إبراهيم

الرياحي رحمه الله فإن الكلام عنه لا يستوفيه هذه الحروف القليلة ولكن اكتفاءً بهذه الكلمات اقول بعد الصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما. أخوكم في الله العبد الفقير يوسف بن الشيخ عبد الرحيم الغيني اللبوي التجاني.

مختصر سيرة سيدي عبد الصمد عبد الواحد يحي (Paolo Urizzi)

يقول سيدي عبد الصمد معرفا بنفسه:

اسمي عبد الصمد يحيى (Paolo Urizzi باولو أوريتسي). قبل الدخول في الإسلام، كرست نفسي للدراسة المقارنة للأديان. الدافع وراء توجهي للإسلام قراءة فصوص الحكم لابن عربي. ذهبت إلى القاهرة لدراسة اللغة العربية، والتقيت بالشيخ محمد الحافظ عام 1975، ودخلت التجانية بيده. كنت مريده في السنوات الثلاث الأخيرة من حياته، ثم كنت تلميذاً لخلفائه وتلميذاً لسيدي إدريس العراقي في المغرب. تلقيت التقديم منهم ومن مقدمين عظماء للطريقة مثل الخليفة العام الشريف سيدي علي بن سيدي المحمود في عين ماضي.

في إيطاليا قمت بتأسيس SITI (الجمعية الإيطالية للنصوص الإسلامية) مع زوجتي في تريست. والتي نشرنا بها ترجمة 5 كتب باللغة الإيطالية ، منها: السيرة النبوية لMartin Lings ، رياض الصالحين للإمام النووي ، كتابين للغزالي ، وملخص من أخبار مكة للأزرقي.

وفي إيطاليا كذلك، أسست زاوية تجانية، فتحت جمعية تسمى Perennia Verba تتعامل مع ترجمات كتب التصوف ودراسات حول عقيدة التوحيد.

على مدار أربع سنوات، عملنا أيضًا على إنشاء مدارس صيفية على التصوف، وباسم "Le Cercle de Lumière" نتعاون مع الناشر Albouraq لترجمة بعض الكتب الأساسية للتجانية.

وأخيراً إن والديّ أسلما أيضًا على يد الشيخ محمد الحافظ رضي الله عنه، خلال زيارتهم للقاهرة عام 77 رحمهم الله.

ولقد قمت شخصياً بنشر العديد من الدراسات حول التصوف وترجمت بعض الكتب، بما في ذلك كتاب التعرف للكلاباذي إلى الإيطالية، والفتح الرباني فيما يحتاج اليه المريد التجاني للطصفاوى إلى الفرنسية.

هدية من سيدي إبراهيم الرياحي للشيخ محمد الحافظ المصري

رضي الله عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه أجمعين

ليس لدي حكايات أو أقاويل عن سيدي إبراهيم الرياحي رضى الله عنه الغير المعروفة بالفعل عند التجانيين، باستثناء حكاية ربما تكون معروفة فقط لدى التجانيين المصريين، أو بالأحرى القليل منهم من يعرف ذلك في يومنا هذا.

إنها حكاية صغيرة تتعلق بشيخي، العالم الرباني الكبير، الولي الواصل العظيم، المحدث الوحيد سيدي محمد الحافظ التجاني المصري رضى الله عنه، لقد سمعتها أثناء إقامتي في القاهرة في أواخر السبعينيات.

ورد عن رجال الزاوية، والشيخ آنَذاك لايزال على قيدَ الحياة، ما يلي: خلال الزيارة الأولى لشيخ الحافظ إلى تونس، رأى حارس الزاوية سيدي إبراهيم الرياحي في المنام يقول له إن الشيخ محمد الحافظ سيقوم بزيارة إلى مقامه وأراد أن يعطيه كُوب القهوة الخاص به كهدية منه إليه. وهذا بالضبط ما حدث، تشريفا للشيخ الحافظ لا ريب، وفي نفس الوقت، شهادة على درجة الولاية والتحقيق لهذا الخليفة الكبير للشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه وارضاه وعنا به، الذي لم تتضاءل تصرُّفه بأي حال من الأحوال بسبب انتقاله من دار الدنيا إلى داره البرزخية في الآخرة .

هل هذا يعتبر إرث من الوراثة التجانية؟ لا أستطيع الجزم بهذا، لكن ما أستطيع قوله إن سيدي الرياحي، تصرف نحو الضيف الذي كان سيزوره بنفس الطريقة التي تصرف بها القطب المكتوم رضى الله عنه، قبل سنوات عديدة، الذي أعلن وصوله

للخادمة قبل أن يطرق سيدي الرياحي الباب عندما زار الشيخ رضي الله عنه في دار المرايا بمدينة فاس.

كما نعلم، تخبرنا السنة النبوية بأن الرؤيا الصالحة هي ما تبقى من إرث النبوة وجزء من ستة وأربعين جزءًا منها. هذه هدية لطالما ميزت تاريخ هذه الطريقة المباركة. بدءاً برؤى النبي التي رآها الشيخ أحمد التيجاني رضى الله عنه في المنام في صغره. ثم كانت هناك رؤيا بالشيخ أبو مدين رضى الله عنه الذي وعده بمساعدته على بلوغ رتبة الخلافة، أي القطبانية. ثم رأى في المنام وهو في تونس سيدي محمود الكردي وهو شيخ الطريقة الخلوتية في مصر الذي سيصبح شيخه المربي قبل لقائه في القاهرة. وكذلك الأمر بينه وبين خليفة المعظم، سيدي علي حرازم رضى الله عنه، الذي رأى الشيخ التجاني في المنام قبل لقائهما في وجدة. وقد ظل هذا يعيد نفسه مئات المرات بعظماء هذه الطريقة.

ما ذكرناه يتعلق بما ظهر من الكرامات على يد هذه الشخصية العظيمة، خبير في مجال العلوم الظاهرة، حيث نال لقب شيخ الإسلام، كما كان كبيرًا أيضا في العلوم الباطنة ووارثًا لأسرار الشيخ التجاني رضى الله عنه من خلال الخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم رضى الله عنه، نفعنا الله من بحرهم بأعظم الاواني.

وفي ختام ما سبق أود أن أذكر هنا الرسالة وهو الإجازة التي كتبه الشيخ أحمد التيجاني إلى سيدي إبراهيم الرياحي استجابة لطلبه.

من سيدنا رضي الله عنه للشيخ ابراهيم الرياحي التونسي رحمه الله لما طلب منه الإذن في الطريقة المحمدية ونصها: بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم إلى حبيبنا الفقيه الأنبل النبيه الأفضل أبي إسحاق سيدي ابراهيم

الرياحي بتونس. سلام الله وتحيته ورحمته وبركاته وإبراره ورضوانه وإحسانه وإكرامه وإنعامه وإعظامه عليك وعلى آلك ومن لاذ بجانبك من الأهل والجيران ما تعاقبت الأعصار والأزمان، وإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فقد وصلنا كتابك الكريم وخطابك السليم، فقد أجزتك وأذنتك في ذكر الورد الكريم المبارك العظيم فشد حيازمك فيما أنت بصدده، وأيقظ نفسك من غفلتها ولا تطعه طوعا في بطالتها، فإن الأمر جد لا هزل. وقف على ساق الجد والكد، فإن الفقير الناقض لميثاقه عقوباته شديدة وحسراته عديدة، وكن على يقين من أمرك ولتهمل ما كفيت ولا تعاط ما استكفيت فإن طريقتنا هذه المحمدية قد حصلت من الله عز وجل بخصوصية على سائر السبل يكل اللسان عن تبيين حقيقتها، ولا ينظم فيها ولا يأوي إليها إلا المقبول فضلا من الله عز وجل. ولو كشف الغطاء عنها لصبا إليها أعيان الأقطاب كما يصبوا رعاة السنين إلى الغمام ولولا ما نهيت أصحابي عن التصريح بها لأحد بالأخذ لها لكان الواجب في حق كل من نصح الأمة جبر الناس عليها والإتيان إليها، ولكن لا مندوحة عن الوقوف عندما حد، فتنبه وتبصر ولا تغتر إذ الطرق كلها آخذة بحجزتها لأنها أصل كلية الطرق منذ نشأة العالم إلى النفخ في الصور بوعد صادق من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم.

مختصر سيرة الدكتور التجاني عاد

- ✓ الاسم واللقب: التجاني عاد
- ✓ تاريخ ومكان الميلاد: 1980/01/27 بالمقرن – ولاية الوادي.
- ✓ الحالة العائلية: متزوج وأب لأربعة أولاد(02 ذكور 02 إناث)
- ✓ الجنسية: جزائرية
- ✓ الوظيفة: أستاذ مساعد قسم - ب - معهد العلوم الإسلامية – جامعة الوادي- الجزائر.
- ✓ الرتبة العلمية: دكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص: فقه وأصوله.
- ✓ الهاتف المحمول: 0665158472
- ✓ البريد الإلكتروني: adtedjani1980@gmail.com
- ✓ **المشاركات والبحوث العلمية:**

- " الاستطاعة في التكليف الشرعي وأثرها في صياغة القواعد الفقهية"، بحث منشور في مجلة الشهاب، وهي دورية أكاديمية دولية فصلية محكمة تصدرها جامعة الوادي- الجزائر، في المجلد الرابع، العدد 01- جمادى الثاني 1439هـ- مارس 2018م.

- " مدرسة المغرب الأقصى في الفقه المالكي (النشأة والتطور)"، بحث منشور في مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، وهي دورية دولية محكمة تصدرها جامعة الوادي- الجزائر، في العدد 22، سبتمبر 2018م.

- مداخلة بعنوان: " نماذج من جهود فقهاء الجزائر في تدوين النوازل الفقهية"، في الملتقى الوطني الثاني حول: " جهود الفقهاء الجزائريين في خدمة المذهب المالكي" ، المنعقد بالمركز الجامعي بالوادي يومي: 06-07مارس 2012م.

- مداخلة بعنوان:" زواج المسيار- دراسة فقهية مقاصدية – مقارنة مع قانون الأسرة الجزائري"، في الملتقى الدولي الثاني حول: "المستجدات الفقهية في أحكام الأسرة"، المنعقد بجامعة الوادي يومي: 24- 25 أكتوبر 2018م.

- مداخلة بعنوان: " عمالة الأطفال بين الواقع الإنساني والمنظور الشرعي"، في الملتقى الدولي الأول حول:" عمالة الأطفال بين الواقع والمأمول"، المنعقد بجامعة البليدة2- علي لونيسي، يومي: 21- 22 نوفمبر 2018م.

- مداخلة بعنوان:" البعد المقاصدي للحضانة وأثره في اواقع المعاصر"، في الملتقى الدولي التاسع حول:" قضايا الأسرة المسلمة المعاصرة في ضوء أصول ومقاصد الشريعة الإسلامية والتشريعات العربية"، المنعقد بجامعة باتنة1- الحاج لخضر، يومي: 27-28 نوفمبر 2018م.

مداخلة للدكتور: عاد التجاني

أستاذ الفقه وأصوله بمعهد العلوم الإسلامية – جامعة الوادي – الجزائر

البريد الإلكتروني الشخصي:adtedjani1980@gmail.com

الهاتف النقال: 0665158472

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أيها السادة الأكارم:

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

إنه لمن دواعي الغبطة والسرور ودوافع الفرحة والحبور أن نلتقي في هذا الفضاء العلمي عبر وسائل التواصل الاجتماعي؛ للحديث عن علم من أعلام الإسلام وأحد أعمدة الإصلاح في تونس الشقيقة، إنه العالم الزيتوني شيخ الإسلام العارف بالله الشريف الإدريسي سيدي إبراهيم الرياحي طيب الله ثراه.

وممّا لا شك فيه أنّ الاطلاع على سير الصالحين، ومعرفة أخبارهم، له في النفس آثار مدهشة، وعلامات بيِّنة، وآيات واضحة؛ فهو يحيي القلوب، ويُشعل في النفوس جَذوة الإيمان[91].

[91]- مواقف إيمانية من حياة الصالحين؛ للشيخ علي بن عبد الله الزهراني، إصدار موقع قصة الإسلام.

كما أنّ الرحمات تتنزل عند ذِكر الصالحين، وهم القوم لا يَشقى جليسهم؛ جاء في كتاب: (فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر):" إنّ الاشتغال بنشر أخبار فضلاء العصر - ولو بتواريخهم - من علامات سعادة الدنيا والآخرة؛ إذ هم شهود الله في أرضه، وبذكر الله ينزل الرضوان، وبذكر رسوله تَنزل المحبةُ، وبذكر الصالحين تنزل الرحمة، وهم في السعادة جلساءُ مَن ذكرَهم، ومَن أحبَّ شيئًا أكثر مِن ذكره، ويُرجى لمن أرَّخ لجماعة أن يَشفع السعيد منهم للشقيِّ"[92].

يقول الشاعر:

أسرد حديث الصالحين وسمّهم ** ** فبذكرهم تتنزّل الرحمات

واحضر مجالسهم تنل بركاتهم ** ** وقبورهم زرها إذا ما ماتوا[93]

كما أنّ ذكر الصالحين والحديث عن صلاحهم وعملهم واجتهادهم وجهادهم، فيه رفع للهمم ودعوة إلى الاقتداء من باب ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ الأنعام 90.

في هذه الورقة البحثية نسعد بحديثنا عن قامة من قامات العلم، وإمام من أئمة الدين، ونبيل من نبلاء الأمة، مفتي عصره وزمانه، العالم الجليل شيخ الإسلام سيدي إبراهيم الرياحي- طيّب الله ثراه.

---

[92]- فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر؛ تأليف مصطفى بن فتح الله الحمودي، دار النوادر، دمشق، ط1، 1432هـ - 2011م، ص36.

[93]- المحاضرات في اللغة والأدب، نور الدين اليوسي، ص138.

إنه العالم المجتهد صاحب منهج التجديد في التدريس الزيتوني، الذي تشدّ إليه الرحال لحضور مجالسه العلمية في الفقه والأصول والحديث والسيرة النبوية العطرة والأدب والشعر، وذلك لما يمتلكه من ثقافة علمية واسعة في شتى العلوم.

التعريف بالعلامة سيدي إبراهيم الرياحي

هو العالم العلامة العارف بالله شيخ الإسلام إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرياحي التونسي[94]، أبو إسحاق: فقيه مالكي من أهل المغرب، ولد في تستور سنة 1180هـ الموافق لـ 1767م ونشأ بتونس، وولي رئاسة الفتوى فيها. شيخ المالكية بها، إمام جليل، جامع بين التبحر في العلوم والآداب ومكارم الأخلاق، وجمع شتات المعالي، مدرّس مؤلّف نفّاع.

أخذ العلم والمعرفة عن جماعة من جهابذة علماء وفقهاء تونس منهم: حمزة الجباس، وصالح الكواش، ومحمد الفاسي، وعمر بن قاسم المحجوب، وحسن

---

[94]- ينظر مصادر ترجمته في : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف (554/1-555). اتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال أهل الطريقة التجانية لسيدي محمد الحجوجي، تح: محمد الراضي كنون، سلسلة كتب الطريقة التجانية، ج2، ص481-536. فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام لسيدي محمد الحجوجي، تح: محمد الراضي كنون، سلسلة كتب الطريقة التجانية، ص 95- 110. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد الحجوي الفاسي (358/2).كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب لسيدي الحاج أحمد سكيرج ص132. الأعلام للزركلي(48/1). رفع النقاب بعد كشف الحجاب لسيدي الحاج أحمد سكيرج (17/1). فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني(437/1-439).اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة لظافر الأزهري (89/1). معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس(1382/2).بغية المستفيد لشرح منية المريد لسيدي محمد العربي بن السائح، ص 251.

الشريف، وأحمد أبو خريص، وإسماعيل التميمي، والطاهر بن مسعود[95]، وغيرهم من علماء الزيتونة[96].

ظهر عليه فضل العلم والعمل، وبلغ من تحصيله غاية الأمل، فأجازه شيوخه وانتصب للتدريس بالجامع الأعظم، وقد أثار من أوّل وهلة اعجاب زملائه وتلاميذه، بما كان يتميز به من قوة الحافظة وحدّة الذكاء، وحضور البديهة، وابتكر طريقة جديدة في التدريس وصفها ابن أبي الضياف بقوله:" وكيفية إلقائه أنه ينقل الدرس ويمليه من حفظه ثم يقرّر ما يظهر له، ثم يسرد كلام المصنّف على كيفية تبعث النشاط في النفس، هوّ أوّل من اخترعها واتخذها فحول العلماء من بعده"[97]. حيث قلّده فيها من جاء بعده كمحمد بيرم الثالث، ومحمود بن الخوجة، وغيرهما[98].

يعتبر سيدي إبراهيم الرياحي الإمام الأكبر والخطيب بجامع الزيتونة، فهوّ أوّل من جمع بين رئاسة المذهب المالكي بتونس وإمامة جامع الزيتونة المعمور[99]. كان صاحب الترجمة رضي الله عنه أوّلا على الطريقة الشاذلية على يد الشيخ البشير الزواوي، ثمّ أخذ الطريقة الأحمدية التجانية أوّلا بتونس عن العارف بالله سيدي الحاج

---

[95]- وشيخه الطاهر بن مسعود كان يميزه عن أقرانه بإبطال الدرس إذا غاب، وكلّمه بعض الطلبة في ذلك فقال: «هذا الرجل ننتفع به أكثر مما ينتفع بنا». ينظر : فتح الملك العلام لسيدي محمد الحجوجي، ص 97. تراجم التونسيين لمحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط2: 1994، ج2، ص387.

[96]- ديوان الشيخ إبراهيم الرياحي، تح: محمد اليعلاوي، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1: 1990م، ص05.

[97]- المرجع نفسه، نقلا عن إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، أحمد بن أبي الضياف، ج7، ص73-82.

[98]- ينظر : تراجم التونسيين لمحمد محفوظ، ج2، ص 388.

[99]- المرجع السابق، ص09.

علي حرازم برادة الفاسي عام 1216هـ الموافق لـ 1796م، وعمل على نشرها بالبلاد التونسية وأسّس لها زاوية بالقرب من حوانيت عاشور في النهج الذي أصبح يحمل اسمه إلى يومنا هذا (نهج سيدي إبراهيم الرياحي)[100].

وبعدها بسنتين حدثت مسغبة ببلاد تونس، فرشّح للذهاب للمغرب وملاقاة سلطانه قصد طلب المعونة، ولما جاء لمدينة فاس كان أوّل عمل قام به هو زيارة دار شيخه أبي العباس التجاني رضي الله عنه، حيث رحّب به وأكرمه غاية الإكرام، كما أجازه في طريقته الأحمدية.

وقد ذاع صيته وازداد علمه ظاهرا وباطنا وظهرت عليه علامات الفتح الرباني عند وروده الحوض التجاني، قال عنه صاحب المنية:

والتونسيّ العالم الرّياحي ** ** جمع بين العلم والصلاح

وقد ذكر العالم الرباني سيدي إبراهيم الرياحي حقيقة الطريقة التجانية وصحّة سندها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي شهادة عالم من أعلام المشهود لهم بالعلم والمعرفة في المغرب العربي في قصيدته السينية فقال في مطلعها:

صاح اركب العزم لا تخلد إلى الياس ** ** واصحب أخا الحزم ذا جدّ إلى فاس

إلى أن قال:

---

[100]- المرجع السابق، ص08.

وما ظنونك بالورد الذي نظمت ** ** يد النبوة هل يبنى بلا ساس

وللعلاّمة سيدي إبراهيم الرياحي العديد من الأجوبة والتقاييد العلمية المفيدة منها[101]:

- مبرد الصوارم والأسنة في الرد على من أخرج الشيخ التجاني عن دائرة أهل السنة.

- ديوان شعر مرتب على الحروف الهجائية.

- شرح الخزرجية في علم العروض.

- منظومة نحوية لتقريب الأجرومية للحفظ.

- قصة المولد النبوي الشريف.

- حاشية على شرح الفاكهاني للقطر، وهو كتاب جمال الدين عبد الله بن أحمد الفاكهي المكي (مجيب النّدا لشرح قطر النّدى).

- ديوان خطب منبرية.

- مجموعة فتاوى في مسائل فقهية متعددة.

- دفع اللجاج في نازلة ابن الحاج، للردّ على قاضي الحاضرة الشيخ محمد البحري بن عبد الستار.

وكانت وفاته رحمه الله في 27 رمضان عام 1266هـ الموافق لـ 1850م.

---

[101]- ديوان الشيخ إبراهيم الرياحي، ص 9-10.

زيارة العلامة سيدي إبراهيم الرياحي لزاوية تماسين:

نبذة موجزة عن زاوية تماسين[102]:

تعدّ تماسين من الزوايا الكبرى للطريقة التجانية في العالم، وهي بلدية ودائرة من الولاية المنتدبة تقرت بالجمهورية الجزائرية، تقع على بعد حوالي 12 كلم من مدينة تقرت على الطريق الوطني الرابط بين هذه الأخيرة وولاية ورقلة التي تبعد عنها بحوالي 160 كلم وتبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 630كلم، وتمتاز بمناخها الصحراوي ويعتمد سكانها على فلاحة النخيل كباقي سكان الواحات.

وتتواجد الزاوية التجانية بجنوب تماسين في منطقة تسمى "تملاحت"، وقد أسّسها الخليفة الأعظم الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه عام 1218هـ/1803م بتماسين، وذلك بإذن من الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، ثم تمّ تحويلها عام 1220هـ/1805م إلى منطقة "تملاحت"، ومنذ ذلك التاريخ وهي تقوم بدورها الروحي والحضاري والثقافي والاجتماعي.

التعريف بالخليفة الأعظم الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه[103]:

هو العارف بالله الشريف الحسني سيدنا أبو الحسن الحاج علي التماسيني رضي الله عنه، ولد بتماسين عام 1180هـ الموافق لـ: 1766م، وشبّ في بيت صلاح وطهارة

---

[102]- ينظر: - الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم، الزاوية التجانية – تماسين، ط3: 1429هـ-2008م، مطبعة كوينين، ولاية الوادي، الجزائر، ص09.

- أئمة زاوية تماسين، علي بن محمد غريسي، الزاوية التجانية- تماسين، ط1: 1434هـ- 2013م، مطبعة كوينين، ولاية الوادي، الجزائر، ص04.

[103]- ينظر: الزاوية التجانية بتماسين بين الأمس واليوم، ص 09. العرف الشذي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني، علي بن خليفة، ط1: 2015، دار الجائزة- القبة- الجزائر، ص 69- 89.

وتقوى وحفظ القرآن وتغذى بمبادئ الشريعة الإسلامية، وامتاز منذ طفولته بطاعة الله ومحبة عباده الصالحين والتواضع حتى وصفه أهل عصره بالحكمة ومكارم الأخلاق.

كان يعتمد في معاشه على فلاحة النخيل، ويحث عليها وعندما عرف الطريقة التجانية والتقى بالشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه في عين ماضي – ولاية الأغواط- عام 1204هـ/ 1789م، قدّمه للإمامة في الزاوية بفاس مع كثرة من بها من أكابر العلماء والفضلاء[104]. وحظي عنده بمنزلة إلى أن قال فيه:" **أين مثل الشيخ الحاج علي التماسيني**"[105] وكرّرها.

خدم شيخه بإخلاص وحبّ وتفان ليس له مثيل إلى أن رقاه مقام الخلافة بحياته، حيث قال له في جمع من أصحابه: "**إنّ أمرنا هذا يتلقاه حيّ عن حيّ مشافهة و إنما أنت الخليفة عليه من بعدي**"[106]. وأمره بالتربية وتأسيس زاوية تماسين فكان عند حسن الظن وفي مستوى الثقة.

وعند انتقال الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه إلى الرفيق الأعلى قضى مدة خلافته داعيا إلى الله تعالى بالحال والمقال، موحّدا لصفوف المسلمين ومحبا للجميع، وكان شعاره:" **اللويحة والمسيحة والسبيحة** "، ويعني بهذه العبارة:" **العلم، والعمل، والعبادة**".

ولبّى داعي ربه يوم الثلاثاء 22 صفر 1260هـ، الموافق لـ: 12 مارس 1844م.

وممّا قاله في حقّه علامة افريقيا سيدي إبراهيم الرياحي التونسي رحمه الله:

---

[104]- كشف الحجاب، أحمد سكيرج، ص126.

[105]- غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين، سيدي محمود بن المطماطية، الباب الرابع، ص30.

[106]- المرجع نفسه، الباب السابع، ص55.

إِذَا مَا وَضَعْتَ الأَرْضَ فِي فَلَكِ العُلَا ** ** وَنَزَّلْتَ سُكَّانَ السَّمَاءِ بِجِبَالِ
وَسُقْتَ شَمَالَ الدَّارِ نَحْوَ يَمِينِهَا ** ** وَأَهْلَ يَمِينٍ فِي مَكَانٍ شِمَالِ
وّطَوَّعْتَ مِنْ أَقْطَارِهَا كُلَّ جَانِبٍ ** ** وَبَيَّنْتَ مِنْهَا مَا بَدَى بِجَمَالِ
فَأَنْتَ حَكِيمُ الوَقْتِ صَاحِبُ سِرِّهِ ** ** فَدُونَكَ أَقْفَالٌ بِلُغْزِ مَقَالِ

زيارة العلامة سيدي إبراهيم الرياحي لزاوية تماسين وما فيها من أبعاد ودلالات:

إنّها تلك الرحلة التاريخية الروحية التي خاضها علامة إفريقيا بكلّ همة وعزيمة وصدق وإخلاص، رغم صعوبة الطّريق التي بين تونس وتماسين ولم يرده شيء عن اقتحام السّفر في تلك الصّحراء الواسعة الفضاء التي بين البلدين ولم يثن عزمه كثرة رمالها وأخطارها، ولاسيّما من كان مثله قد نشأ في بحبوحة الرّفاهية وتربّى تحت أستار الحضريّة ولا يقدر في غالب أحواله على شقّ تلك الفدافد الصّحراويّة ولا على قطع تلك المراحل الطويلة[107].

وقد تحمّل العلامة سيدي إبراهيم الرياحي تلك المتاعب؛ لأنه يتحقّق أنّ وراءها ما هو أحلى من الشّهد فامتطى بعزم وأي عزم ركاب راحلته ورمى جلالة شأنه العلميّ وترأسه في دواوين العلوم بين قومه إلى ورائه ثم جاب تلك الفيافي، فلله درّه من عالم صالح وأستاذ فالح رابح[108] .

---

[107]- غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين، سيدي محمود بن المطماطية، الباب الخامس عشر، ص132.

[108]- المرجع نفسه، ص132.

وكان المقدم الكبير سيدي الطاهر بن عبد الصادق[109] هوّ الذي رافق العلامة سيدي إبراهيم الرياحي في رحلته التاريخية، وقد ذكرها حفيد الرياحي في كتابه" تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي"، نقتطف ما نصه:" ... في سنة 1238هـ[110]، قدم تونس الشيخ الطاهر بن عبد الصادق أحد أكابر أتباع القطب المكتوم الشيخ سيدي أحمد التجاني وصحبه الشيخ صاحب الترجمة (سيدي إبراهيم الرياحي) في رجوعه مسافرا صحبته إلى تماسين، واجتمع بضرغامها، قطب العارفين خليفة شيخنا التجاني رضي الله عنهم وهو سيدي الحاج علي التماسيني..."[111].

ولما انفصل رحمه الله من تونس قال لصاحبه المتقدّم :" يا سيدي الطاهر إني ذاهب إلى رجل قد زعمت أنه خليفة الله في أرضه وأنه الغوث الجامع وإني أحاسبك بين يدي الله تعالى إن لم أجده على هذا الوصف الذي أخبرتني به ".

---

[109]- هو العارف بالله سيدي الطاهر بن عبد الصادق القماري السوفي الجزائري، أحد خاصة الخاصة من أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، ومن أخص خواص سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه، وممن كان مشهورا بالفتح الكبير والسر والنور، يرجع له الفضل في بثّ الطريقة التجانية بالقطر التونسي، وهو أحد أصحاب الشيخ الذين حضروا وبايعوا الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني بالخلافة بأمر من الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، مع حضور كل من: سيدي محمود التونسي وسيدي أحمد بن سليمان التاغزوتي، توفي سيدي الطاهر ببلدة توزر بالجريد وقبره مشهور يتبرك به. ينظر ترجمته في: كشف الحجاب لأحمد سكيرج ص 396. غرائب البراهين لسيدي محمود بن المطماطية (الباب الثاني عشر، ص198-199).

[110]- الموافق لـ 1822م. ينظر: ديوان الشيخ إبراهيم الرياحي، ص7.

[111]- الطريقة التجانية في الجنوب التونسي أعلامها- زواياها، علي غريسي، ط1: 1435هـ/2014م، مطبعة SIB، كوينين، ولاية الوادي، الجزائر، ج1، ص44. نقلا عن تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي، عمر الرياحي، المكتبة العتيقة، تونس، ج1، ص95.

هذا، وقد كان مولانا الحاج علي أخبر أحبابه وأصحابه من أهالي سوف بأنّ سيدي إبراهيم الرياحي التونسي سيقدم عليهم قاصدا تماسين وأمرهم بأن يقابلوه بالإكرام الذي يليق بمقامه العلمي، فتعجّبوا من حال ذلك العالم الكامل كيف هان عليه السّفر من تونس إلى تماسين مع ضخامة شأنه بين عظماء العلم ثم لم يلبث حتى وصل سيدي إبراهيم الرياحي مع رفيقه إلى بلدة قمار فلقيه أهلها بفرح عظيم وخرجوا إلى لقائه في احتفال كبير وأظهروا له من سرورهم بمقدمه ما لم يكن في حسبانه ولما رأى كثرة انكبابهم على تقبيل يده وشدّة إجلالهم إياه قال:" **هؤلاء يغلّطون الإنسان في نفسه**"، وبات ليلة واحدة في البلدة المذكورة ثم بارحها قاصدا وادي ريغ مع صاحبه، ولما وصل إلى القرية المسماة بالمقارين القريبة من بلدة تقرت صدرت منه إجازة لرجل هناك بإعطاء الطريق بسنده الذي كان عنده في ذلك الوقت فسمع مولانا الحاج علي رضي الله عنه بذلك قبل أن يبلغ إليه فقال:" **إن الرّجل مازال مازال** "، وكأنه لم يرض بما فعله الشيخ الرياحي قدّس الله روحه في إجازته للرّجل المذكور وهو في وسط حماه، وقد كان الأولى به في ذلك المقام أن لا يتصدّى لمثل فعله بل يتنصّل كل التنصّل من ذلك وإذا ألزمه راغبه مثلا بشيء دلّه على الخليفة الأكبر حيث كان قريباً من دياره[112].

ثم سار سيدي إبراهيم الرياحي من قرية المقارين المذكورة إلى أن أشرف على بلد تماسين حيث مطلبه ومراده فقابله مولانا الحاج علي مقابلة كريمة حسب مكانته ومنصبه العلميّ الرّفيع وأمر أن يصنع له طعام رفيع بالخصوص له، ولما أحضر بين يديه ذلك الطعام أقسم أنه لا يأكل هنا إلا من الطّعام المعهود عند أهل زاوية الشيخ، ولم يأكل شيئا من ذلك الطعام الذي أعدّ له وأظهر رحمه الله تذلّلاً وخضوعا عظيما

---

[112]- غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين، سيدي محمود بن المطماطية، الباب الخامس عشر، ص133.

هناك، ولما أخبر مولانا الحاج علي بهذا الأدب العظيم الذي أظهره في موطنه قال رضي الله عنه مشيرا له:" **لقد ربح الرّجل وفلح**".

ومن أدبه بل خضوعه الكبير الذي أظهره وقتئذ هناك ما تحدّث بعض الثّقة وهو حدّثه رجل من الفضلاء الكبار الذين اجتمعوا به في حضرة تماسين أنه وقت وروده هذا صادف البنائين يبنون في بعض بيوت الشيخ ومولانا الحاج علي ساعتئذ واقف ينظر فيهم وهم مشتغلون بالبناء، فجاء سيدي إبراهيم الرياحي حتى انخرط في جماعة البناءين وجعل ينقل الحجارة والطوب مع النقالين بنفسه ويناولها للبناءين فرآه مولانا الحاج علي على تلك الحالة فتركه وشأنه ولم يتكلم له بشيء، فعظم أمره ذلك على كبراء زاوية الشيخ الذين يعرفون مكانته فجاءوا إليه وهو مشتغل بما ذكرناه فقالوا له:" يا سيدي إبراهيم إن المشتغلين بهذا الأمر كثيرون وفيهم الكفاية وأنت لا تحسن بك هاته الخدمة" فسمع كلامهم هذا مولانا الحاج علي فقال لهم:" **أو تبخلون الرّجل في اكتساب الأجر ألم تعلموا يا مساكين أن خدمة الشيخ هي هي عين خدمة الحق دعوه دعوه لا تتعرّضوا له في خدمته فبها يرتقي للمقامات العاليّة**".

وقد قال سيدي محمود بن المطماطية في كتابه غرائب البراهين: "وقد حدّثني غير واحد من الأشراف الأفاضل كلٌّ يروي عن العلامة الكامل الشيخ أحمد دغمان القماري وهو حدّثه شيخه سيدي الطاهر بن عبد الصّادق رفيق مولانا الرياحي المتقدّم قال:" لما وصلنا إلى تماسين أنزل سيدي إبراهيم في بيت وحده ثم لما انتصف الليل بعثني مولانا الحاج علي إليه لأدعوه إلى حضرته في ذلك الوقت فجئته ونقرت عليه الباب ففتح إلي فإذا هو قد نزع ثيابه لأجل النوم، فتعجّب من قدومي عليه في ذلك الوقت فقلت له :" إنّ الشيخ يدعوك بالحضور إليه في هذه الساعة" فلبس ثيابه بغاية السّرعة وأقبلت به إلى ناحية الشيخ فلمّا صار عند سجّادة الشيخ وهو موضع بباب الزاوية يجلس الشيخ

فيه بالنّهار مع أصحابه وقف ولم يتحرّك فالتفتّ إليه وقلت له:" مالك وقفت تقدّم معي حتّى ندخل على الشيخ "، فقال لي رحمه الله:" قل لي الآن بماذا أخاطب الشيخ إذا جلست في حضرته ؟"، فتعجّبت من كلامه هذا وقلت له:" سبحان الله يا سيدي إبراهيم أمثلك يقول لمثلي قل لي بماذا أخاطب الشيخ وأنت عالم الدنيا في هذا الوقت ولك في القرويين وفي جامع الزّيتونة وفي الأستانة مكانة سامية في المناظرات" فقال رحمه الله :" لقد رفع عني ذلك العلم كله وإني أقسم بالله الذي لا إله إلا هو إني ما أعقل شيئا في هذه الساعة ولا أعرف ما أنا أتكلم به الآن". فقلت له:" إني أحمد الله تعالى الذي قبل منك هذه الزيارة التي أنت فيها ولو أنك في وقتك هذا بقيت على حالك العلميّ الفاخر ودخلت على حضرة هذا الشيخ الكبير ببذاخة علمك لربّما شاخت عليك نفسك أمامه وتلك الدّاهية الدّهماء وإني أشير عليك بالصمت والسّكوت إذا جلست في حضرته فإنه الآن في مقام يأبى كثرة الكلام" .ثم دخلا على الشيخ فرحّب وبشّ τ في وجه السّيد بما أزال عنه به حزنه وخوفه وقال له:" **إنا قد قبلنا زيارتك لنا** "؛ فقام سيدي الطاهر من ساعته وجعل يخاطب السّيد الرياحي بأعلى صوته ويقول وهو متوجّه له "هذا هو الرّجل الذّي أخبرتك به إنّه خليفة الله في أرضه فاسأل منه حاجتك التي تريدها فإن باب رحمة الله قد فتح لك الآن وقد قلت لي أنك تحاسبني بين يدي الله سبحانه إن لم تجده على الوصف الذي وصفته لك فها أنت الآن في حضرته وها هو أمامك تنظره بعينيك وجعل يكّرر كلامه هذا محرّضا للسّيد الرياحي على أن يغتنم الفرصة الّتي انشرح فيها الشيخ له وانبسط معه ويطلب منه حاجته ولكن مولانا الرياحي لم يتفوّه بكلمة وقتئذ وكأنه ختم على لسانه. ولله في مجالس أوليائه شؤون وفنون ﴿**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ سورة العنكبوت: 43.

وقد سأله مولانا الحاج علي في خلل تلك المباسطة الكريمة عن بعض المسائل العلميّة وهو يريد أن يسمع جوابه عنها فقال السّيد الرياحي: " لا أدري يا سيّدي " فجعل

الشيخ يباحثه طويلاً في تلك المسائل وهو لا يزيد عن قوله له في جوابه: "لا أدري" فقال الشيخ له متعجّباً من حاله:" **سبحان الله إنه قد بلغني عنك أنك من العلماء ألم يكن ذلك**".

وهناك صرّح له رضي الله عنه بأن مراده ومطلوبه سيتمّه الحقّ سبحانه له وينجزه بعد هذا الوقت على يد صاحبه ورفيقه سيدي الطاهر بن عبد الصّادق القماري وظفر منه بواسطة هذا الصّاحب الكريم على إجازة كبرى في الطّريقة المحمدية أطلق له فيها العنان إطلاقاً عظيماً[113].

إنها سابق العناية الإلهية التي لاحظت العالم الرباني سيدي إبراهيم الرياحي الذي أظهر في نفسه التواضع ونكران الذات وترك علومه الظاهرة وخلع نعليه مع حضرة الخليفة الأعظم سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه، فنظر إليه بنظرة عين الرحمة والشفقة والحنان فنال ما نال من العلوم والمعارف والأسرار، وبلغ ما بلغ من المراتب والمقامات.

هذا، ولما عاد للشيخ سيدي إبراهيم الرياحي رضي الله عنه حاله العلمي وسرّه الإلهي، غادر تماسين يريد تونس، ولما وصل رحمه الله إلى تونس سئل من بعض أناسه عمّا شاهده ووقف عليه من حال مولانا الحاج علي التماسيني الذي كان في زيارته فقال لسائله:

" وجدت رجلا هو أجلّ وأرفع مما يسمع من خبره"[114].

---

[113]- غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين، سيدي محمود بن المطماطية، الباب الخامس عشر، ص134.

[114]- المرجع نفسه، ص137.

وهذه شهادة عظيمة لها معان روحية عميقة في قلب سيدي إبراهيم الرياحي من صدق في المحبة وتواضع رفيع ليس له نظير، يريد العلامة تبليغه للناس، ذلك أنّ العالم مهما بلغ من العلم فلا يغتر بعلمه ولا يعجب بحاله ولا يتكبّر على مخلوقات الله، فإنّ الله سبحانه وتعالى يضع سرّه الرباني في عبده فتتجلى أنواره عليه من غير علم ظاهر مكتسب، وهذا ما حدث مع الخليفة الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه الذي أظهر أسرار الفيض الرباني لعلامة إفريقيا تربية له من حظوظ النفس وأخذا بيده نحو السمو الروحي لتحقيق العبودية الحقة لله تبارك وتعالى.

قال سيدي محمود بن المطماطية في غرائب البراهين:" وحدثني بعض الفضلاء قال سمعت الأستاذ المعظم سيدي محمد الصّغير يعني ولد مولانا الحاج علي رضي الله عنه ما قال: سمعت سيدي إبراهيم الرياحي التونسي في العام الذي ورد فيه زائرا لسيدي الحاج علي يقول:" لو أنني كنت ساكنا بوادي سوف لما فاتتني صلاة الجمعة أبدا مع الخليفة سيدي الحاج علي بتماسين"، وكأنه يقول ذلك ترغيبا لأصحاب الشيخ وتنبيها لهم على الاجتماع في حضرة الشيخ في يوم الجمعة لسرّ جمالي في ذلك الاجتماع الشريف في نفس ذلك اليوم الكريم ويحقق ذلك السرّ العارفون من رجال الجمع الأبرار فافهم.

وسئل سيدي إبراهيم الرياحي رحمه الله وهو لا يزال في تماسين قبل أن يرتحل من حمى ذلك الهمام إلى بلده من بعض طلبة العلم بتلك النواحي عن مسائل من العلم، فسكت عن جوابهم، ثم لما رجع لتونس كتب لهم أجوبة مسائلهم كلّها وأرسلها إليهم ووبّخهم توبيخا شديدا فيها على عدم مراعاتهم لأدب السؤال الواقع منهم هناك حيث أنه إنما جاء لحضرة ذلك الولي العظيم طالباً لشفاء باطنه وقاصداً علاج نفسه لا أنه جاء بصفة المشيخة والتّظاهر بالعلم والدراية في حمى ذلك العارف الأكبر وليس ذلك المقام مقام سؤال وجواب وإنما هو مقام بسط الأكفّ بالدعاء والتّضرّع لله تعالى.

فانظر رحمك الله إلى علو أدب هذا العالم المبرور وإلى حسن إنصافه، وهل هذا إلا من تغلب مشاهدة الحقّ على قلبه نعم الله روحه الزّكيّة في النّعيم المقيم[115].

إنها بحق السعادة الإلهية التي جذبت هذا العالم الجليل نحو بساط أهل الله للدخول في دائرة أهل الفضل والعرفان ويسقى من ماء أسرار العلوم الربانية.

كما قال الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه:" **سائق السعادة يسوق أناسا لهذه الحضرة، والصارف الإلهي يصرف أناسا عنها**"[116].

لقد كانت هذه الزيارة الرياحية إلى الحضرة التماسينية بحثا عن الدواء الناجع والسر النافع، الذي يحتاجه كل عالم حصّل العلوم الظاهرية المكتسبة وتمكّن منها، وبقيت العلوم اللدنية الباطنية التي يهبها الله تعالى لمن شاء من عباده، كما قال الحق تبارك وتعالى في حق سيدنا الخضر عليه السلام: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾ الكهف:65.

جاء في كتاب مسامرات الظريف بحسن التعريف لأبي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي:" ...ولما قدم إلى حاضرة تونس الشيخ الطاهر ابن عبد الصادق أحد تلامذة الشيخ أحمد التجاني سنة ثمان وثلاثين استصحب معه الشيخ إبراهيم الرياحي في رجوعه، فسافر صحبته إلى تماسين للاجتماع بالخليفة في الطريقة التجانية، الشيخ الحاج علي التماسيني –رضي الله عنهم أجمعين-، فزار في طريقة مدينة القيروان وقطع الصحراء، ووصل إلى تماسين ، واجتمع بالخليفة، **وطلب منه مداواة أمراض النفس**

---

[115]- المرجع السابق، ص 137.

[116]- الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، سيدي محمد الطيب السفياني، دار التجاني، تغزوت- الوادي- الجزائر، ص138.

الباطنية فنال منه الدواء الناجع، والسر النافع، ورجع محصّلا على المراد من حسن الإمداد"[117].

كما أخبر الثقات أنّ سيدي إبراهيم الرياحي لما التقى بالخليفة الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني ضمه إلى صدره ضمتين أدرك في الأولى خير الدنيا وفي الثانية خير الآخرة إلى أن قال في حق الإمام التماسيني :" **أشهد أنّ هذا الرجل يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله"**[118].

لقد ظهرت علامات التربية الروحية التجانية في شخصية العلامة سيدي إبراهيم الرياحي، وهذا ما تجلى من خلال رسائله إلى رفيقه في تلك الرحلة المباركة المقدّم الكبير سيدي الطاهر بن عبد الصادق الذي يعدّ بمثابة همزة وصل بين عالم مجتهد تربّع على كرسي التدريس والإمامة والإفتاء وبين رجل تربّع على كرسي الخلافة فكان خليفة الله في أرضه.

لقد كانت هذه الرحلة نقطة تحوّل في حياة العلامة سيدي إبراهيم الرياحي، فبتواضعه وقهر نفسه وإذلالها وكسر حظوظها وكبريائها بلغ مراده فشرب من كأس العلوم اللدنية أنوارا وأسرارا.

هذا، وحين يشهد عالم جليل بقصور علمه أمام رجل صالح أعطاه الله بسطة في العلم وهو سيدي الطاهر بن عبد الصادق، تدرك حقيقة ما آل إليه حاله وتغيّر في حياته، فقد

---

[117]- مسامرات الظريف بحسن التعريف ، أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، تح: محمد الشاذلي النيفر، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ص183.

[118]- الطريقة التجانية في الجنوب التونسي أعلامها- زواياها، علي غريسي ، نقلا عن فيض المحبوب في أحبة الجنوب، سي العروسي بن عبد الله محمدي، مخطوط، ص 39.

قال سيدي إبراهيم الرياحي في حق محبّه سيدي الطاهر بن عبد الصادق: **"والله ما علمي الظاهر مع علمه إلا كالأعجمي مع العربي الفصيح"**. وكفى بسيدي إبراهيم الرياحي شهادة له بذلك[119].

وكتب سيدي إبراهيم الرياحي لسيدي الطاهر بن عبد الصادق ذات يوم ما نصه:

ألا قل لسكان وادي العقيق ** ** هنيئا لكم في الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضا ** ** فنحن عطاش وأنتم ورود

لو كانت لي قوة أسافر إليك ما بقيت في ألم الحيرة، أفلا تعطيني حق محبتي لك وصحة اعتقادي فيك ... **وما حصل لي الإذن فيما علمت إلا على يدك**..."[120].

وكتب له مرة بما نصه: " بحمد الله جلّ جلاله، وتعالى مجده وعزّ كماله، يصل الكتاب إلى قرة العيون، وجلاء القلب المحزون، ومجمع السر المخزون، المصون المكنون، سيد الأحباب، **وليث السنة والكتاب**، وأسد الغاب الوثاب، سيدي الطاهر بن عبد الصادق، الصادق الشراب، والبحر العباب، ...**من الو اقف بالباب، المصروف بالقشرعن اللباب**، ...ولا تنسانا فإنّ الأخوة قديمة والطوية على محبتكم قويمة، ..."[121].

وكتب له مرة أيضا بما نصه:" بعد حمد الله جلّ جلاله، يصل الكتاب إلى الدر المكنون، ... سيدي الطاهر بن عبد الصادق، ... وبعد: ... وكل إناء بالذي فيه يرشح، أو ينضح ، إلا أنه قد حصل بعض تغير من قولك أنا خديمك الطاهر يتوسل إليك،... الخ، فإن هذا

---

[119]- اتحاف أهل المراتب العرفانية لسيدي محمد الحجوجي، ج1، ص 331.

[120]- المرجع نفسه، ج1، ص 329.

[121]- المرجع السابق، ج1، ص 329-330.

الكلام من حقي أن أقوله أنا لك، **فإني أنا الخديم، و أنا المقصر، و أنا القاصر، و أنا السائل، و أنا الجاهل الذي لم أهتد سبيلا، ولم أجد دليلا**، وأي منزلة لي، أم أي مقام، أم أي حظ أستحق به منكم أدنى أدنى أدنى ما رأيت من إكرامكم وإجلالكم وإعظامكم، **اللهم إلاّ مجرد الترامي على أبوابكم، والاقتباس من جذوة أنواركم، والتعطش إلى زمزم أسراركم، والطمع في قبولكم و إقبالكم**..."[122].

فأيّ تواضع هذا، وأيّ نكران للذات، وأيّ تجاهل للنفس وقيمتها ومرتبتها أمام الناس، لقد ألقى العلامة سيدي إبراهيم الرياحي بكلّ علومه وأوسمته ومكانته العلمية وراءه ظهريا، ووقف أمام باب المقدم الكبير سيدي الطاهر بن عبد الصادق الذي هو امتداد لباب التماسيني؛ يطلب تحقيق المعرفة الربانية لقوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ الذاريات: 56.

ختاما، نقول:

تعتبر شخصية العلامة سيدي إبراهيم الرياحي – طيب الله ثراه- من الشخصيات العلمية الفريدة التي جمعت بين الشريعة والطريقة والحقيقة، فقد كان ميلاده الثاني يوم أن قصد زيارة مولانا الخليفة الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه، رفقة صديق دربه ودليله المقدّم الكبير سيدي الطاهر بن عبد الصادق رضي الله عنه، والذي يرجع له الفضل في تعريفه بحقيقة الإمام التماسيني والولوج إلى حضرته بكلّ محبة وإخلاص وصدق وتواضع.

إنّ هذه الرحلة الإبراهيمية الرّياحية إلى الديار التماسينية تعدّ بمثابة صقل لشخصية علمية رائدة في الفكر الإسلامي والنهضة العلمية الإصلاحية، فقد بدأ سيدي

---

[122]- المرجع السابق، ج1، ص 331.

إبراهيم الرياحي رضي الله عنه تلميذا وطالبا في الجامعة التماسينية وتخرّج منها بشهادة شرفية تحمل في طياتها رسالة العلم والعمل والعبادة، وهذا شعار الخليفة الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني رضي الله عنه في حياته حيث كان يقول:" **عليكم باللويحة والمسيحة والسبيحة حتى تخرج الرويحة"**[123].

هذه هي الثلاثية التماسينية الخالدة التي سار عليها خلفاء الإمام التماسيني من بعده إلى عصر الخليفة الحالي الشيخ سيدي محمد العيد التجاني التماسيني حفظه الله، الذي حمل مشعل العلم ودعا الشباب إلى التحصيل المعرفي الثقافي مع الحفاظ على الهوية الدينية والوطنية وتقديم الخدمة للإنسانية، واهتم بتدريس القرآن الكريم والحديث النبوي وعلومهما، مع توظيف التقنيات التكنولوجية الجديدة في خدمة المدرسة القرآنية.

أيها الأفاضل:

إنّ اهتمامكم بهذه المنارة الزيتونية في الطريقة التجانية إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على حرصكم الشديد لإبراز معالم هذه الشخصية العلمية المغمورة، والتي تعدّ مفخرة لتونس الشقيقة ولبنة أساسية في بناء جامع وجامعة الزيتونة، فحريّ بالأجيال أن يتعرّفوا على أحد أهمّ رواد الفكر الإصلاحي في تونس، فكما قيل:" سير الرجال مدرسة للأجيال".

فرحم الله سيدي إبراهيم الرياحي يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّا.

ورضي الله تعالى عن القطب المكتوم الشيخ سيدي أحمد التجاني وخليفته من بعده الإمام الأعظم الخليفة سيدي الحاج علي التماسيني الذي يرجع له الفضل في بث

---

[123]- الإنسان الكامل، الشيخ الدكتور سيدي محمد العيد التجاني التماسيني، ص04.

جسر التواصل والمحبة والإخاء والتعاون بين الشعبين والبلدين الشقيقين تونس والجزائر، فهذه الرحلة الرياحية إلى الزاوية التماسينية وضعت حجر الأساس للترابط الروحي والعلمي والثقافي والاجتماعي القائم والمستمر إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ التوبة:105.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

أخوكم ومحبّكم الدكتور : عاد التجاني

نبذة مختصرة نقلا عن الموقع الرسمي للدكتور.

أستاذ حضارة بالتعليم العالي بتونس الاختصاص الدقيق المتخيّل الديني والسياسي: تطوّره وآفاقه؛ التفسير القرآني؛ قصص الأنبياء عند أهل السنّة والشيعة الإماميّة والإسماعيليّة؛ العهد القديم والعهد الجديد في الفضاء الثقافي الإسلامي؛ الإسرائيليّات ومصادرها اليهوديّة والمسيحيّة

المؤهلات الأكاديمية

دكتوراه التخصص: العلوم الإسلامية والفقهية

- 09/04/2015

الماجستير التخصص: الآداب والعلوم الإنسانية

ماجستير حضارة

- 08/11/1988

الخبرة التدريسية

لطلبة الماجستير: إشكاليّة المصطلح في الفكر العربي المعاصر

لطلبة الماجستير: في المنظومة الأخلاقيّة في الفكر الإسلامي

لطلبة الماجستير: القياس والاجتهاد من خلال أصول الفقه

تدريس الترجمة من الفرنسية إلى العربية

تدريس الترجمة من الإنجليزيّة إلى العربيّة

الأخطاء في اللغة العربيّة الشّائعة في وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة

النشر العلمي

في إشكالية الأصالة والمعاصرة

نوع النشر: مجلة علمية الناشر: تونس

آدم والتاريخ

نوع النشر: أطروحة دكتوراه الناشر: مؤمنون بلا حدود

خطيئة داود في ضوء الفكر الإسلامي

نوع النشر: مجلة علمية. الناشرRoutledge, London:

عليّ المخلبي؛ ولاري تشيكارلي

خطيئة داود في الفكر السنّي القديم

نوع النشر: مجلة علمية

الناشر: مؤمنون بلا حدود

المتخيّل الديني: المفهوم والرهانات

نوع النشر: مؤتمر علمي الناشر: إصدارات الباسك

لا إله إلا الله: أصول الإسلام وتطوّره ومستقبله

نوع النشر: كتاب. الناشر: دار كتابنا للنشر

المؤلّف: رضا أصلان؛ المترجمان: علي المخلبي؛ محفوظ العارم

الماركسيّة نوع النشر: كتاب. الناشر: دار علّيسة للنشر والتوزيع.

المسيحيّة نوع النشر: كتاب. الناشر: دار علّيسة للنشر والتوزيع.

اليهوديّة نوع النشر: كتاب. الناشر: دار علّيسة للنشر والتوزيع.

عقائد الشيعة نوع النشر: كتاب. الناشر:دار عليسة للنشر

الشيعة: نظرة تاريخيّة. نوع النشر: كتاب. الناشر:دار علّيسة للنشر والتوزيع

الاشتراكيّة نوع النشر:كتاب الناشر:عليسة للنشر والتوزيع

خلق الكون في تصوّر أهل السنّة نوع النشر:أخرى الناشر:موقع الأوان

الأسطورة تأويل فلسفي نوع النشر:أخرى الناشر:موقع الأوان

المؤلّف بول ريكور؛ المترجم علي المخلبي

التحليل والتأويل قراءة في مشروع محمّد عابد الجابري

نوع النشر:كتاب الناشر:دار كارم الشريف

الامبراطورية في مواجهة التنوّع نوع النشر:كتاب الناشر:منشورات اللجنة الشعبيّة العامّة للثقافة

المؤلّف: سامي النابر؛ المترجم: علي المخلبي

النشاطات الأكاديمية

مجلّة مداد رئيس تحرير

خطبة الجمعة: شروط النجاح مشاركة في ندوة

التنمية المستدامة: تأصيل نظري مشاركة في ندوة الدولة:الجزائر

التوراة في الفضاء الإسلامي: حكاية قابيل وهابيل أنموذجا

مشاركة في مؤتمر/ندوة الدولة:لبنان

ندوة على هامش المعرض الدولي للقرآن الكريم في دورته 26 في طهران

مشاركة في ندوة الدولة:إيران

مستشارعلمي في اللجنة التي تشرف على مشروع "اليد في اليد"

لجنة ماجستير: الترجمة باعتماد البرامج الرقميّة عضو لجنة علمية

باحث في وحدة بحث الظاهرة الدينيّة في تونس عضو لجنة علمية

سيدي إبراهيم الرياحي أنموذج عن العالم الذي لم ينعزل عن السياسة وعن حياة الناس مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلّم «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ». ويمكن تقسيم أهمّ ما تتجلّى فيه مواقفه من الحياة العامّة في تونس إلى قسمين أوّلهما ما يتعلّق بالعلاقات الداخلية، وثانيهما ما يتعلّق بالعلاقات الخارجيّة.

العلاقات الداخليّة

ويظهر ذلك في ما عرض عليه من الوظائف وأهمّها:

القضاء

الإفتاء

الريادة في إصلاح التعليم الزيتوني

كما يظهر أيضا في مواقفه ممّا يحصل في القصر الحسيني من فساد سياسي أصاب أهمّ رجال الدولة الحسينيّة ومنهم يوسف صاحب الطابع التجاني أحد كبار رجال الدولة الحسينيّة المصلحين المحسنين

الوظائف:

تعتبر الوظيفة في سلك القضاء والإفتاء من الوظائف النبيلة في الثقافة الإسلاميّة إذ تقوم على معطيين هما العلم والتفوّق فيه وذلك لخصوصيّة القانون في الدولة في المجال الإسلامي إذ لا ينفصل القانون عن سائر العلوم الشرعيّة التي يتمّ الحصول

عليها في الجامعات الدينيّة أساسا. والمعطى الثّاني هو "شرف النّسب" ونعني به في المستوى الذي يهمّنا الابتعاد المرشّح لمنصب القضاء والإفتاء عن شبهات الاستفادة من منصبه.

هذان المعطيان اللذان توفّرا بشكل واضح في شخصيّة سيدي إبراهيم وإن تراخى معطى النسب في الظهور للعيان مكّناه من أن يكون ذا موقف مميّز في علاقته بالقصر الحسيني وبالوظيفة التي تقترح علي.

فقد كان حريصا على استقلاله وعلى التأدّب مع شيوخه حينما عرض عليه منصب القضاء فكان أن رفض ذلك في البداية رفضا يكشف حكمته في التعامل مع الشأن السياسي الداخلي. لم يسع الرفض إلى التمرّد ومعارضة من اقترح عليه منصب القضاء ولكنّه لم يشأ أن يكون طرفا في الصراع أو ان يكون في صف حمودة باشا رغم ما كان عليه سيدي إبراهيم من حاجة إلى مثل هذا المنصب من حيث وضعه الاجتماعي والاقتصادي، فلم يرد أن يكون في صف من لا يرى في مثل هذه المناصب سوى المصلحة الدنيويّة. ولكنّ رفضه ذلك لم يكن جبنا (حاشاه رضي الله عنه) أو هروبا من المسؤوليّة فلقد أعلم سائله، بطريقة الإشارة التي لم يدركها سامعه، بأنّه لن يكون في دار القضاء من الغد لتولّي المنصب بل سيرحل بعيدا عن الحاضرة حتى يهدأ الأمر

يقول أبو عبد الله السنوسي صاحب مسامرات الظريف بحسن التعريف: "ولما عزل أستاذه الشيخ عمر المحجوب من خططه استدعاه الأمير حمودة باشا لخطة قضاء الحضرة وأكرهه عليها بعد شدة امتناعه، فقبل الخطة ووليها صبيحة يوم السبت منسلخ صفر الخير سنة إحدى وعشرين ومائتين وألف وقبل التهنئة من الخاصة والعامة وقد سأله الشيخ حمد بن الخوجة القاضي الحنفي يومئذ عما أعده

من الكتب للخطة فقال له: أعددت كتاب ابن رحال فعجب منه حيث أن ابن رحال له شرح على المختصر الخليلي، وهو يسأله عن كتب النوازل التي جرى العمل بما فيها بين القضاة بحاضرة تونس. لكن من الغد كشف الغيب على أن الشيخ خرج إلى زاوية تلميذه الشيخ محمد بن ملوكة خارج باب القرجاني فبات بها وأصبح مرتحلاً إلى زغوان"

وإذا كان قد اكتفى بعدم المواجهة المباشرة مع القصر في حادثة تولّيه القضاء فإنّه كان ذا شجاعة نادرة في وقوفه مع الحق في مواقف عديدة أهمّها موقفه من المحنة التي تعرّض لها سيدي يوسف صاحب الطابع والتي انتهت بقتله وجرّه في شوارع الحاضرة. كان سيدي إبراهيم الرياحي قويّا بالله في معارضته لذلك الظلم الذي تسبّبت فيه وشايات حاشية الباي وسعاياتهم ضدّه طمعا في ثروته التي كان للفقير وابن السبيل حق فيها.

ومن الدلائل على منزلته الكبرى في سكّان القصر رضاهم بأنّ يجتمع فيه مناصب لم تجتمع لأحد قبله فهو القاضي وعضو الشورى وشيخ العلم في جامع الزيتونة

هذه الشخصيّة القويّة في الحق بالله جعلته ملاذ كل مظلوم ومحلّ خشية كل ظالم، فتكوّنت له مكانة في القصر الحسيني كان لرحلته في سفارة إلى المغرب والمشرق الفضل الكبير في تدعيمها.

العلاقات الخارجيّة

تظهر هذه العلاقات في 3 مناسبات الأولى سفارته إلى مملكة المغرب والثانية سفارته إلى الآستانة والثالثة حجّه

كانت سفارته إلى المغرب بسبب المجاعة التي أصابت تونس. والسؤال الذي يلحّ على المؤرّخ هو لماذا اختار الباي ومستشاروه السفارة إلى المغرب وليس إلى مصر أو المشرق عموما. قد يعود الأمر إلى سببين أوّلهما متعلّق بالمشرق فمن المحتمل أنّ هذه البلدان في حالة جفاف وتعاني مما تعاني منه تونس، ثمّ إنّ هذه البلدان تعاني من أوضاع لم تكن هادئة والطرقات لا ريب لم تكن آمنة وغرض السفارة الحصول على قافلة محمّلة حنطة وشعيرا وهي قافلة قد تغري قطّاع الطرق فيهاجمونها ممّا يعرّض مهمّة السفارة إلى الفشل والسفراء إلى القتل. وثانيهما أمر كشفت عنه السفارة عينها وكيفيّة استقبال سيدي إبراهيم الرياحي فالعلاقات بين تونس والمغرب علاقات متينة ينظر كل واحد منهما إلى الآخر بعين غير عين المنافس في السياسة وبعين غير عين الطامع في كرسي الآخر. كشفت هذه السفارة عن نوع من التقارب بين بلدان المغرب العربي تقارب زادته شخصيّة سيدي إبراهيم الرياحي متانة من خلال بلاغته وصدق مدحه للملك وعمق علمه في الظاهر والباطن الذي رفعه في عيون علماء المغرب مكانة سامية.

أمّا سفارته إلى دار الخلافة بتركيا فكانت على زمن السلطان محمود خان وكانت في طلب إعفاء الإمارة التونسية مما عينه عليها من الخراج السنوي الذي أرسل بطلبه، ولما بلغ الشيخ إلى دار الخلافة حصل له الاحتفال، ووقع تلقيه بالإجلال، وعظم لديه إكرام العلماء والأنجاد، وسره منظر البلاد. وعندما دخل موكب السلطان إلى مجلس الحكم وكان سيدي إبراهيم الرياحي في انتظاره ومن معه رفع الشيخ الجليل صوته يتلو قوله تعالى: { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص: 26]. وقضيت حاجة الشيخ وما من أجله سافر إلى الباب العالي.

وما حصل في الآستانة له دلالات أهمّها:

هيبة الشيخ في حضرة السلطان العثماني الذي كان يهابه القاضي والداني وهو ما يكشف عن مكانته في القلوب وفي الغيوب

قوّة الشيخ في الحق وسرعة بديهته وثقته العظيمة بالله

عمق تصديقه بما أخبره به سيدي الحاج علي حرازم وقوّة اعتقاده في الشيخ القطب المكتوم قدّس الله سرّه

فما كان لتكون له كل تلك القوّة والجرأة لولا قوّة اعتقاده في الضمانات التي منحها له سيّد الوجود عن طريق القطب المكتوم

ج. رحلته إلى الحجّ

كانت رحلته إلى الحج طاعة لوليّ الأمر (مصطفى باشا) في أن ينوبه في الحج، ولكنّها بالنسبة إلى سيدي إبراهيم الرياحي كانت كذلك من أجل أن يعرض شكواه على الحضرة النبوية بعد أن رأى من تلميذه القاضي ما يكره في نازلة ابن اليتيم وتنازع الجدّة والعم في حضانته.

ولقد كان القصر الحسيني مع القاضي التلميذ وهو ما زاد من ألم شيخنا الجليل فاستقال من منصب القضاء والإفتاء ولكن طلب الاستقالة رفض فخرج إلى الحج وفي قلبه غضب وعرض أمره على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلّم.

نخلص من كل هذا بالنتائج التالية:

لم يكن الشيخ إبراهيم الرياحي كسائر مشائخ الزيتونة لقد كان قويا في الحق قويّا في مواقفه ضدّ البايات ومن يدور في حاشيتهم يقول محمد محفوظ صاحب تراجم

المؤلفين التونسيين: " وبالرغم من حب المشير الأول أحمد باشا باي له كان المترجم ما فتئ ينتقده وينكر عليه سياسته الجائرة في فرض الضرائب، وفي طريقة جمعها، وكان يصرح بهذا الإنكار ولا يخفيه، ومع ذلك كان المشير يجلّه ويخشاه، ويتودد إليه، وكان قد تخلّق بأخلاق استاذه الشيخ صالح الكوّاش في موقفه من البايات لا يتوانى في الرد عليهم، ولا يخاف في الله لومة لائم. وكان مقصودا لقضاء الحوائج لما عليه من كريم الأخلاق، وسامي المكانة في النفوس، واعتقاد المسؤولين فيه الولاية والصلاح. يقال إن المشير الأول أحمد باشا كان يقول: إنه لم يقتل والدي غير دعاء الشيخ إبراهيم، ولذلك كان يتحامى جانبه، ويجلّ مكانه. وقد خرج المترجم له يوم المولد النبوي لقصد التوجه إلى جامع الزيتونة، فوجد عند بابه أرملة وأولادها عائلة رجل يسمى السعدي، قد أقام في سجن الكرّاكة مدة فضجوا بين يديه ضجة واحدة، وتراموا بين يديه يسألونه بجاه الله ورسوله أن يشفع لهم في السجين المذكور عند الباي المشير الأول، ولما أتم قراءة المولد، وأخذ المشير يحادثه عرض عليه شفاعته في السعدي، فقال له المشير: «مؤبّد» ولم يستكمل كلامه حتى استعاذ المترجم، وقال: «إنما التأبيد لله» ونهض يكررها قبل إتمام الموكب، وقد بهت المشير من ذلك بمرأى ومسمع من جميع الحاضرين، وعند ذلك قام على أثره الوزير ولسان الدولة يعتذران ويعلمانه بقبول شفاعته.

كان الشيخ إبراهيم الرياحي همزة وصل قويّة بين تونس والمغرب بقي صداها إلى الآن لا بسبب انتماء الشيخ إلى الطريقة التجانيّة فحسب، بل بسبب ما أنشده من شعر حمل كل معاني الأخوّة والمحبّة بين المسلمين في المغرب الأدنى والمغرب الأقصى، وقد بقي شعره محفوظا مرويّا على ألسنة أحباب سيدي أحمد التجاني مدحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللقطب المكتوم رضي الله تعالى عنه.

كان الشيخ منارة الطريقة في طريقه إلى الحج من خلال تواصله مع المشائخ والعلماء في مصر وغيرها ومن خلال الإجازات العلمية التي حصّلها، وقد كانت فرصة لعلماء المشرق عموما ومصر خصوصا ليتدارسوا رسالته رضي الله عنه في الردّ على الوهّابيّة.

إنّ للشيخ عموما ولمشائخ الطرق الصوفيّة دورا في الحياة الاجتماعيّة وقوفا ضد الظلم ومع المظلومين. يدورون مع الحق حيث دار فهم رحى الوجود ونجومهم من بعد الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

هشام بن تيتة

مولود في 7سبتمبر 1971 بتونس متزوج وأب لـ 3 أبناء

موظف بوزارة المالية

متحصل على الاجازة الوطنية في العلوم الاسلامية بجامعة الزيتونة من المعهد العالي للحضارة الإسلامية.

بصدد مناقشة رسالة ماجستير اختصاص فقه وسياسة شرعية تحت عنوان: قاعدة "لا ينكر المختلف فيه وإنما ينكر المجمع عليه" وأثرها في الانظار الفقهية.

تحرير الرقّ: قضيّة إنسانيّة ومساهمة سيدي إبراهيم الرياحي (1766–1850):

أودّ في البداية أن أشير إلى عنوان الاتفاقية الدوليّة الخاصّة بالرقّ الّتي لها علاقة بموضوع هذه المداخلة، حيث وقّعت في جنيف يوم 25 أيلول/سبتمبر 1926 الاتّفاقية الخاصّة بالرقّ وقد بدأ نفادها في 9 آذار/مارس 1927، وقد عدلت هذه الاتفاقية بالبرتوكول المحرر في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، في 7 كانون الأول/ديسمبر 1953. وبدأ نفاذ الاتفاقية المعدلة يوم 7 تموز/يوليه 1955، وهو اليوم الذي بدأ فيه نفاذ التعديلات الواردة في مرفق برتوكول 7 كانون الأول/ديسمبر 1953. هذه الاتّفاقيّة الدوليّة على قدر كبير من الأهمّية وتربطنا بها علاقة وطيدة نحن في تونس نظرا لكون بلدنا لها مساهمة فعّالة في أنّها رأت النّور وأصبحت أمرا واقعا. وأعتقد جازما أنّ لشيخنا سيدي إبراهيم الرّياحي التّونسي أياد بيضاء في تطوّرها إلى أن أصبحت بهذه الأهمّية الدوليّة. كيف ذلك؟

قبل ما يناهز القرن من الزّمان وتحديدا سنة 1846م، كتب المشير أحمد باشا باي[124] (1221هـ-1806م/1270هـ-1855م) إلى علماء مشايخ ومفتي تونس كتابا يتضمّن

[124] ولد في 21 رمضان سنة 1221هـ/2 ديسمبر 1806م من جارية إيطاليّة من كورسيكا علمته لغتها فأتقنها كما علّمته العربيّة والتركيّة وأبوه مصطفى باي (1835 - 1837) الذي كلّف مصطفى صاحب الطابع بالسّهر على تربيته. أصبح صاحب الطابع هذا وزيرا له بعد أن كان وزيرا لأبيه، وحفظ القرآن، وتعلّم اللّغة التّركيّة "نطقا وكتابة" واللّغة الايطاليّة "نطقا فقط". ويذكر أنه تزيّا في شبابه بزيّ الجند من التّرك.

إعلامهم إلغاء الرق وعتق العبيد. وهذا نصّها: الحمد لله حفظكم الله تعالى ورعاكم ونور هداكم الفضلاء الأعيان الأخيار العلماء الكمل هداة الأمة ومصابيح الظلمة أحبابنا الشيخ سي محمد بيرم شيخ الإسلام[125] والشيخ سي إبراهيم الرياحي[126] باش مفتي المالكية والمفتيين الشيخ سي محمد بن الخوجة والشيخ سي محمد بن سلامة والشيخ سي أحمد اللابي والشيخ سي محمد المحجوب والشيخ سي حسين البارودي والشيخ سي

Sraïeb Noureddine,"**Chronique d'une rencontre royale: le voyage d'Ahmed bey à Paris en 1845"**,*dans Itinéraires de France en Tunisie d XVI siècle et XIX siècle*,Bibliothèque municipale,Marseille,1995,pp85-115

[125] محمد بيرم الرابع ولد في 26 أغسطس 1805 في تونس العاصمة وتوفي في 5 نوفمبر 1861 في نفس المدينة، هو عالم دين تونسي، ولد محمد بيرم لعائلة أرستقراطية من الأشراف. بدأ مهنة التدريس مبكرا في عمر ال18 سنة في كل من المدرسة العنقية والمدرسة الباشية. أصبح بعدها مفتي الأحناف ونقيب الأشراف بعد وفاة والده في 1843. عين في منصب شيخ الإسلام تحت حكم أحمد باي الأول، وأصبح إمام جامع صاحب الطابع:
أحمد بن أبي الضياف (1990). إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان. المجلد السابع. مدينة تونس: الدار التونسية للنشر. صفحة 124-126.

[126] **إبراهيم بن عبد القادر بن سيدي إبراهيم الطرابلسي المحمودي بن صالح بن علي بن سالم بن أبي القاسم الرياحي التونسي**، ولد بتستور بتونس عام 1180 هـ، وأخذ العلم والمعرفة عن جماعة علماء وفقهاء تونس منهم : حمزة الجباص، وصالح الكواش، ومحمد الفاسي، وعمر بن قاسم المحجوب، وحسن الشريف، وأحمد بو خريص، وإسماعيل التميمي، والطاهر بن مسعود، وغيرهم: شريف، أحمد بن العيد بن محمد الأخضر بن أحمد السائح الحسني، Sīdī Ibrāhīm al-Riyāḥī : al-manārah al-. -1964 .zaytūnīyah fī al-ṭarīqah al-Tījānīyah. [Tunis]. ISBN 978-9938-913-09-5. OCLC 964535071.
مؤرشف من الأصل في 23 يناير 2020.

الشاذلي بن المؤدب والشيخ سي علي الدرويش والشيخ سي محمد الخضار والقضاة الشيخ سي محمود بن باكير والشيخ سي محمد البنا والشيخ سي محمد النيفر بباردو والشيخ سي فرج التميمي بالمحلة، أكرمهم الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعد، فإنّه ثبت عندنا ثبوتاً لا ريب فيه أن غالب أهل أيالتنا في هذا العصر لا يحسن ملكية هؤلاء السودان الذين لا يقدرون على شيء على ما في أصل صحة ملكهم من الكلام بين العلماء إذ لم يثبت وجهه وقد أشرق بنظرهم صبح الإيمان منذ أزمان وأن من يملك أخاه على المنهج الشرعي الذي أوصى به سيد المرسلين آخر عهده بالدّنيا وأول عهده بالآخرة حتّى أن من شريعته التي أتى بها رحمة للعالمين عتق العبد على سيده بالإضرار وتشوف الشارع إلى الحرية فاقتضى نظرنا والحالة هذه رفقاً بأولئك المساكين في دنياهم وبمالكيهم في أخراهم أن نمنع الناس من هذا المباح المختلف فيه والحالة هذه خشية وقوعهم في المحرّم المحقق المجمع عليه وصد إضرارهم بإخوانهم الذين جعلهم الله تحت أيديهم وعندنا في ذلك مصلحة سياسية منها عدم إلجائهم إلى حرم ولاة غير ملّتهم فعيّنا عدولاً بسيدي محرز وسيدي منصور والزاوية البكرية يكتبون لكلّ من أتى مستجيراً حجّة في حكمنا له بالعتق علي سيّده وترفع إلينا لنختمها.

وأنتم حرسكم الله إذا أتى لأحدكم المملوك مستجيراً من سيده واتصلت بكم نازلة في ملك على عبد وجهوا العبد إلينا وحذار من أن يتمكن له مالكه لأن حرمكم يأوي من التجأ إليه في فك رقبته من ملك ترجح عدم صحته ولا نحكم به لمدعيه في هذا العصر واجتناب المباح خشية الوقوع في المحرّم من الشريعة لا سيما إذا انضم لذلك أمر اقتضته المصلحة فيلزم حمل الناس عليه والله يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كريماً.

والسلام من الفقير إلى ربه تعالى عبد المشير أحمد باشا باي وفقه الله تعالى آمين.

وكتب في محرم الحرام سنة ١٢٦٢. (1846م).

هذا المرسوم وما تضمّنه من أمور يقدّرها الحاكم في مجال السّياسة الشرعيّة، وكذلك من قواعد بعضها في الفروع وبعضها في الأصول، لا يمكن، في تقديرنا أن يصدر عن حاكم إلاّ بعد نقاش واستشارة وتحضير من المفتين والقضاة وأهل العلم في الدّولة، ودليل ذلك الردّ الّذي رجع به الشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي على رسالة المشير أحمد باشا باي المرسلة إلى العلماء، قال رضي الله عنه: "اللّهم أيّد الإسلام والمسلمين، ببقاء أمير المؤمنين، المؤيّد بالنّصر العزيز والفتح المبين. المستمدّ في إصابة الرّأي من نور العليم الخبير. سيّدنا ومولانا الباشا أحمد المشير. لازلت العناية آخذة بيده. والهداية إلى أقوم طريق من أجلّ عدده. وبعد فقد بلغني كتابك الكريم. وخطابك العزيز الواجب التّعظيم. فأحطت بما لديه خبرا. وانشرحت بما تضمّنه صدرا. إذ كان مضمونه رأيكم السّديد. في عتق هؤلاء العبيد. لما ذكرتم من كلّ وجه سديد. يقبله من له عقل رشيد. وعلم مديد. وليس بعد بيانكم من مزيد. فلازالت ملّة الإسلام بك مشرقة. ورياض الدّولة بحسن سياستك مونقة. آمين. والدّعاء من معظّم قدركم العليّ. إبراهيم بن عبد القادر الرّياحي عفي عنه آمين. في المحرّم سنة 1262. (1846م) اهـ وهذا نصّ لا يدع مجالا للشكّ أنّ شيخنا، على أقلّ تقدير، لو لم يكن سببا مباشرا في هذا التوجّه الشّرعي والحضاريّ الكبير بصفته رأس المالكيّة في الإيالة التونسيّة ومرجع الاستشارة والفتوى الشرعيّة فيها، فإنّه قدّم ما يلزم من دعم وتأييد ورضي عن ذلك بقوله "وليس بعد بيانكم مزيد". فعلمنا الكبير وعالمنا الجليل بلغ أعلى المراتب المالكية وذلك منذ سنة (1238هـ/1823م)، زمن حسين الثاني باشا[127]، بصفته كبير أهل الشورى أي باش مفتي

---

[127] **حسين باي بن محمد** أو **حسين باي** أو **حسين باشا باي** أو أو **حسين باي الثاني** باي تونس من 28 مارس 1824 إلى 20 ماي1835 ، وهو ثامن بايات تونس: Ibn Abi L-Diyaf, Chronique des Beys de

المذهب المالكي بالمعنى المتداول وقتذاك، وفَتَاوِيه ورُدودُه ورسائلُه تدل جميعا على سعة معارفه في مجالات العقيدة والفقه والأدب، وتنم عن هِمَّةٍ عالية أبِيّة لا يجاريه فيها إلا ثلة من أقرانه العلماء من ذوي السماحة ورفعة الخلق. فقد كان غزيرُ تحصيله مقترنا بِلِينِ الطبع وحسن البِشْر وطيب المؤانسة،[128] وما يعطي لهذا الرّأي قيمة كبيرة هو شخصيّة سيدي إبراهيم الرّياحي وتعامله مع العمّال وأصحاب النّفوذ في الدّولة، إذ لم يكن سيدي إبراهيم الرّياحي يجاريهم ولا يداهنهم البتّة، وهو بذلك يُعَدُّ من بين العلماء الذين خلّد التاريخ الإسلامي ذكرهم جراء ما كانوا يُؤاخِذون به العمّال في عصرهم. يذكر ابن أبي الضّياف[129] أنّ أحمد باي حين عودته من سفر قام به إلى فرنسا، لاقى "مرارات المواعظ نطقا وكتابة من شيخنا العالم التقي سيدي إبراهيم الرياحي وكان يخشى دعوته ويهابه.." بسبب هذا السفر الذي حصل " في غير زمان لغير مكان" بالنظر إلى كثرة تجاوزات العمال وتكرارها في حق السكان الذين يعانون أصلا قساوة الأزمة عليهم... ولا شك أن موقف الشيخ جاء من وحي حسن فهمه للشريعة الاسلامية الذي دأب عليه.

Tunis et du Pacte fondamental, éd. critique André Raymond, vol. 1, IRMC-ISHMN-Alif, Tunis 1994.

[128] رسالة الدكتور محمد العزيز بن عاشور: محمد العزيز بن عاشور ولد في 5 يناير 1951 في المرسى، هو سياسي تونسي ومؤرخ متخصص في التاريخ الحضري والاجتماعي والثقافي في تونس الحديثة والحضارة الإسلامية، شغل منصب وزير الثقافة بين 2004 و2008، ثم مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بين 2009 و2013.

[129] أحمد بن أبي الضياف: ولد عام 1217هـ/ 1802-1803، وتوفي في 17 شعبان 1291هـ/ 29 أكتوبر 1874، سياسي ومؤرخ وإصلاحي تونسي: الطاهر الخميري، «تعريف بابن أبي الضياف وتاريخه»، مجلة الفكر، ع 9، 1960، ص 30-36.

وبنفس هذه الروح تقبل الشيخ بارتياح واستحسان قرار أحمد باي القاضي بإزالة الرِّق في عام (1262هـ)، ويبدو أنه أبدى موافقته لتيار الإصلاح الناشئ وقتئذ، وهو ما أكده على كل حال رائد هذا التيار الإصلاحي الوزير خير الدين في كتابه "أقوم المسالك"[130].

وقضيّة تحرير الرقّ هذه أثارت وقتها الكثير من الاهتمام ففي رسالة من الجنرال حسين[131] الذي كان رئيسا للمجلس البلدي لمدينة تونس إلى القنصل الأمريكي بتونس "أموس بري" ردّا على استفسارات عن منافع "قانون تحرير العبيد" في البلاد، رفعها إلى وزير الخارجية الأمريكية وليام إيتش سنة 1846، قال، "إن قرار الحكومة التّونسية بمنع العبودية تمّ اعتمادا على مقاصد الشريعة الإسلامية التي تعتبر أن الأصل هو الحرية لا الاستعباد، وأن الإسلام اشترط الإحسان للعبيد وعدم توفّر هذا الشّرط يؤدّي إلى تجاوز الحدود الشرعيّة." وهو ما قد يكون له تأثير على القرار الّذي اتّخذته الولايات المتّحدة

---

[130] أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، كتاب هام كتبه أحد أبرز رجال الإصلاح في القرن التاسع عشر، بقي مجهولاً بالنسبة للقراء في المشرق العربي، كذلك فإن صاحبه خير الدين باشا التونسي الذي كان رئيساً للوزراء في تونس، واحتل بعد ذلك منصب الصدارة العظمى في الأستانة، بقي مجهولاً بالنسبة للعدد الواسع من القراء والمهتمين بفكرة الإصلاح في القرن الماضي، بالرغم من شهرة عدد كبير من مفكري وأدباء القرن التاسع عشر، الذي لم يبلغوا أهمية خير الدين في تجربته السياسية وفي أثره الفكري.

[131] الجنرال حسين (1828-1887) عسكري وإصلاحي ورجل دولة تونسي من أصل شركسي.
من تلاميذ مدرسة باردو الحربية ورفيق كلّ من خير الدين باشا التونسي والجنرال رستم، شغل منصب رئيس بلدية تونس من 1858 إلى 1865 (وهي أول مجلس بلدي تونسي) ثم مدير الشؤون الخارجية للمملكة التونسية سنة 1860 وجمع معها خطة رئيس محكمة الأحداث والجنايات والذي اصدر مجلة الجنايات والأحكام في تونس حتى سنة 1863: المؤلف: المكتبة الوطنية الفرنسية.

الأمريكيّة في 22 سبتمبر 1862م، حين قام الرئيس الأمريكى السادس عشر إبراهام لينكولن بإعلان تحرير العبيد فى الولايات المتحدة.

قرار أحمد باي إلغاء العبودية سنة 1846م، لم يأت بصفة فجائية بل كان في سياق تمشّي كامل وخطة واضحة، حيث سبقته عدة قرارات من بينها إصدار أمر يتعلّق بمنع الاتّجار بـ"الرقيق" وبيعهم في كلّ أسواق البلاد، وإلغاء الأداء الذي كان موظّفا على هذه التّجارة في سبتمبر/أيلول سنة 1841. وفي مرحلة لاحقة، صدر أمر بهدم المحلات المعدة لبيع العبيد في المدينة العتيقة بالعاصمة تونس، وفي ديسمبر من العام الموالي أقرّ الحرية لأبناء العبيد المولودين في الإيالة، حيث تم إصدار أمر يعتبر من وُلد في تونس حرا يمنع بيعه وشراؤه.

ولا غرابة في الموضوع، لمن أدرك أسرار الشّريعة الإسلاميّة الغرّاء، ونبل مقاصدها، ومرامي الشّارع الحكيم من بين ثنايا أحكامه، فإنّك لا تجد في نصوص القرآن والسنّة المطهّرة نصّا يأمر بالاسترقاق , بينما تحفل آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالعشرات من النصوص الداعية إلى العتق والتحرير.

قال الشّيخ محمّد الأمين الشّنقيطي[132] رحمه الله : " وسبب الملك بالرق : هو الكفر ، ومحاربة الله ورسوله ، فإذا أقدر اللهُ المسلمينَ المجاهدين الباذلين مُهَجهم وأموالهم وجميع قواهم وما أعطاهم الله لتكون كلمة الله هي العليا على الكفار : جعلهم ملكاً لهم بالسبي إلا إذا اختار الإمام المنَّ أو الفداء لما في ذلك من المصلحة للمسلمين".[133] ففتح الإسلام الباب أمام تحرير الرقيق وجعل ذلك من القربات التي

---

[132] عنوان الكتاب: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: الشنقيطي؛ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي.

[133] الشنقيطي، محمد الأمين، " أضواء البيان " ج3 ص387 .

يتقرّب بها المسلم إلى الله، قال تعالى: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أوزارها)[134]. جعل الإسلام لباب عتق الرِّقاب مجموعة من الوسائل التي تضمن استنفاد ظاهرة الرق، ومنها:

- ❖ عتق الرّقاب قُربةٌ عظيمةٌ: قال النّبي عليه الصّلاة والسّلام: (مَن أَعتَقَ رقبة مسلمةً، أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النّار حتّى فرجَه بفرجه)[135].
- ❖ عتق الرقاب أحد مصارف الزّكاة، قال تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[136].
- ❖ عتق الرِّقاب كفارة لمن لطم عبده أو ضربه، فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله يقول: (من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه)[137].
- ❖ عتق الرقاب كفارة لما يأتي: كفارة القتل الخطأ، قال تعالى: (مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ)[138].
- ❖ كفّارة الظِّهار، قال تعالى: (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا)[139].

---

[134] سورة محمد، آية 4.

[135] صحيح البخاري، تحقيق محمد الناصر، دار طوق النجاة المصورة عن السلطانية الطبعة الأولى 1422. صحيح مسلم, ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي, بيروت.

[136] سورة التوبة، آية 60.

[137] شرح النووي على مسلم ج11 ص287.

[138] سورة النساء، آية 91.

[139] سورة المجادلة، آية 4.

❖ كفارة الحِنث في اليمين، قال تعالى: (لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ...)[140].

❖ من وسائل عتق الرقاب الزّواج من الرّقيق، قال تعالى: (وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ)[141].

المُكاتبة من وسائل عتق الرقاب، حيث أجاز الإسلام للعبد أن يشتري نفسه من مالكه، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ)[142].

يقول جوستاف لوبون[143]: "الذي أراه صادقاً هو أن الرق عند المسلمين خير منه عند غيرهم، وأن حال الأرقاء في الشرق أفضل من حال الخدم في أوروبا، وأن الأرقاء في

---

[140] سورة المائدة، آية 91.

[141] سورة النساء، آية 25.

[142] سورة النور، آية 33.

[143] جوستاف لوبون: غوستاف لوبون (7 مايو 1841 - 13 ديسمبر 1931) (بالفرنسية: Gustave Le Bon) طبيب ومؤرخ فرنسي. عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا. كتب في علم الآثار وعلم الانثروبولوجيا وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند و"باريس 1884" و"الحضارة المصرية" و"حضارة العرب في الأندلس" و"سر تقدم الأمم" و"روح الاجتماع" الذي كان انجازه الأول. هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر غوستاف لوبون على نهج معظم مؤرخي أوروبا، حيث اعتقد بوجود فضلٍ للحضارة الإسلامية على العالم الغربي.

الشرق يكونون جزءاً من الأسرة... وأن الموالي الذين يرغبون في التحرر ينالونه بإبداء رغبتهم.. ومع هذا لا يلجأون إلى استعمال هذا الحق"[144] انتهى .

الرِّقُّ في نظر الإسلام موضوع دُرِسَتْ أحكامه في الكتب الدينية، وأُلِّفَتْ فيه كتب خاصة اهتمت ببيان أصل مشروعيته وموقف الإسلام منه، والرد على الشُّبَه المُثارة حوله. والرقيق قوة بشرية كان لها أثرها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأزمان الغابرة، وجاء الإسلام فوَجَدَ الرق موجودًا في كل أنحاء الدنيا، وكانت وسائله متعددة، بعضها يقوم على الخطف والسرقة، فلم يَشَأ الإسلام أن يَمْنَعه مرة واحدة حتى لا تكون هناك هِزَّة، وهو في الوقت نفسه ظاهرة موجودة عند كل الأمم عندما تقوم الحروب بينها ويقع فيها أسرى من الجانبين يُسَاوَمُ كلٌّ على فِدائهم، فَضَيَّق الإسلام منابع الرق وحَصَرَها في الحرب المشروعة التي تقوم بين المسلمين والكفار، وكذلك فيما يُتَوالَد من الأرقّاء السّابقين، وجَعَل ضَرْب الرِّق على الأسير بأمر الحاكم إن رَأَى فيه المصلحة. ثم وَسَّع أبواب الحرية بالعِتْق في مخالفات كثيرة، كالفطر في رمضان والظِّهَار والقتل والقَسَم أي الحَلِف وغير ذلك، كما حَبَّبَ في العتق بدون سبب مُوجِب، ورَغَّب فيه ترغيبًا كبيرًا، وإذا ضاق المنبع واتَّسَع المَصَبُّ كانت النتيجة قضاء على الرق بالتدريج. وفي المسافة التي بين الرق والعتق أمر الإسلام بالإحسان إلى الرقيق، ونصوصه في ذلك كثيرة جاء فيها التعبير عن المملوكين بأنهم إخوان من مَلَكُوهم، وهي إخوة في الإنسانية تَقتضِي الرحمة والحفاظ على كرامتهم، حتى كان عتق العبد كفارة عن ضرْبه وإهانته، ولعل هذه الطيبة في معاملتهم تكون دعاية للإسلام ومبادئه الإنسانية العظيمة، على يد من يَعتِقون.

---

[144] جوستاف لوبون، "حضارة العرب"، (ص459-460).

وموقف الإسلام بهذه الخطوات الثلاث الحكيمة: تضييق منابع الرق، وتوسيع منافذ الحرية، والإحسان إلى المملوك والترغيب في عتقه. موقف شريف يُزرِي بالأساليب التي كانت موجودة قبل الإسلام في بلاد الحضارة، وبالأساليب التي اتَّخذَها تجار الرقيق في القرون الأخيرة لتعمير الأرض المكتشفة، وحين اشتد التنافس بين الدول في هذه التجارة قَرَّرُوا الاتفاق على منْعها، متذرِّعين. صدقًا أو كذبًا. بأنها منافية لكرامة الإنسان، واستبدلوا به رقًّا آخر بالاستعمار وبسط النفوذ من أول القرن 17 الميلادي، والتحكم في مصائر الشعوب الضعيفة، وكان مَن وافقوا على منع هذه التجارة، وإن كانت له آثار قليلة باقية[145].

فهذه المبادئ السّامية والأهداف النّبيلة عمل شيخنا سيدي إبراهيم الرّياحي التّونسي رضي الله عنه على أن تكون بارزة في آرائه وفتاويه وأقضيته الّتي اشتهرت بين العام والخاصّ، إذ جعلت منه مضرب الأمثال في الشّجاعة ورباطة الجأش والصّدع بالحقّ وهو دور كلّ عالم انتجبه المولى تبارك وتعالى ليضطلع بهذه المهمّة الخطيرة الّتي لها انعكاسات على نسيج المجتمع المسلم وعلى قرارات أولي الأمر الّذين ينشدون الرقيّ والرّيادة بين الأمم. فالشّيخ سيدي إبراهيم الرّياحي أثبت تعلّق المجتهد بالقيم وتوقه إلى الاصلاح الذي بدأ بتحرير العبيد والذي ستتوفّر أسبابه وظروفه فيما بعد مع تلميذه الشيخ ابن أبي الضياف في مواقفه وتأليفه "الاتحاف"[146] ومع الوزير الأكبر خير الدين التونسي في تنظيماته وتأليفه "أقوم المسالك" وهو ما مهّد للنهضة التي يمكن اعتبار

---

[145] الشيخ عطية صقر. رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر رحمه الله.

[146] اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، يعرف اختصارا بالإتحاف، وهو كتاب من تأليف المؤرخ التونسي ابن أبي الضياف الذي عاش في القرن التاسع عشر للميلاد، وقد تناول فيه تاريخ تونس منذ الغزو العربي الإسلامي إلى حدود عصر الكاتب مع التركيز على العهد العثماني بتونس، وخاصة منه فترات حكم البايات الحسينيين، ويعتبر الإتحاف من أهمّ مصادر تاريخ تونس الحديث.

الرّياحي أباها الرّوحي، وبذلك يكون قدر العالم وقيمته عند الله تعالى هو ما يقدّمه لمجتمعه ولعباد الله تعالى من سعي إلى رفع المشقّة والفاقة عنهم لقوله صلى الله عليه وسلّم: الخلق عيال الله , وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.[147]

ولكن لمّا كان لا بدّ لكلّ مسار جادّ ومجدّ من منغّصات تفسد عليه زهو زمانه فقد ظهرت في السنوات الأخيرة بعض الآراء المشكّكة متّخذة من جلباب الفتوى سبيلا لإعادة فتح باب العبودية من قبل بعض العلماء الّذين يدّعون السلفيّة ويصفون أنفسهم بأنّهم محافظون، ومفادها: إن العبودية "جزء من الإسلام؛ لأنه جزء من الجهاد؛ والجهاد باق ما بقي الإسلام؛"، وتهجّمهم على علماء المسلمين الذين يعترضون على ذلك وتكفيرهم.[148] ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

وفي الختام، أسألك يا ربّ يا ربّ ونحن نتحدّث عن هذا الطّود الشّامخ وهذا العلم الهمام، سيّدي إبراهيم الرّياحي ونحن في حضرته، وفي زاويته العامرة، أن ترفع عنّا يا الله يا ربّ العالمين، هذا البلاء، وهذا الوباء، الّذي لاقت منه البشريّة ما لاقت، وأن تحفظ جميع المسلمين أينما كانوا، وجميع التجانيّين ولا سيما أشياخنا وأحفاد القطب المكتوم رضي الله عنه، آمين فنحن عبيدك نقرّ لك بالربوبيّة يا ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

---

[147] أخرجه البزار في مسنده ج13 ص332.

[148] في عام 2003 أصدر هذه الفتوى الشيخ صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية.

من رسالة بينه وبين المقدم البركة سيدي الحبيب بن حامد رضي الله عن الجميع:

سيدي الحبيب سلام الله عليك وحفظك وأعانك وأيدك. أما فيما يختص بسيرتي الذاتية فهي باختصار:

ولدت بمدينة الرباط حوالي سنة 1944/1943 لا تحقيق لنا في هذا ونشأت بالرباط وتابعت دراستي الابتدائية ثانوية مولاي يوسف بالمشور السعيد بالرباط التحضيري إلى الباكالوريا فاضطررت إلى ترك الدراسة والشغل بالإدارة لأسباب مادية وانخرطت بوزارة المالية ثم التحقت بسفارة المغرب بالكاميرون عام 1974 ثم بسفارة المغرب بتونس قضيت بالأولى عشر سنين وبالثانية كذلك ثم أحلت على المعاش حوالي سنة 2001 ميلادي

تمسكت بالطريقة التجانية سنة 1961م عند بلوغي الرشد على المقدم البركة الميمون سيدي الحاج إبراهيم التناني وهو أجازه سيدي الأحسن البعقيلي رضي الله عنه.

ثم لازمت زاوية سيدي العربي بن السايح رضي الله عنه حيث تابعت دروس علماء من أهل الطريقة فدرسنا عليهم الحديث والفقه واللغة.

ولازمت كثيرا من أصحاب سيدنا رضي الله عنه مذاكرة وسردا لكتاب البغية وكتب أخرى ختمناها مرارا وكنت أنا السارد والمعلق والحمد لله.

وكانت أول إجازة لي بالتقديم سنة 1962م أجازني بها الشريف مولاي الحسن الودغيري الضرير وهي مقيدة وهو مجاز بالطريقة إجازة مطلقة بسبعة أسانيد أجازني ولم أطلبها منه بل كانت الإجازة الوحيدة التي أملاها قبل وفاته بقليل ثم توالت الإجازات

الكثيرة من مقدمين أفاضل كسيدي الحاج عبد الرحمان التناني وسيدي إدريس العراقي وسيدي الطيب التجاني النقيب وسيدي محمد العلامة المصري وسيدي ومولاي محمد السباعي القاضي وسيدي أحمد عبد الكريم التشادي وسيدي محمد الدهال الموريطاني ومولاي الطيب التماسيني وسيدي الحاج محمد العيد التماسيني وسيدي محمد الكبير البعقيلي

هذا ما علق بذهني الآن فهناك آخرون ممن أجازني بعضهم ولكن نسيتهم الآن كما استفدت من كثير من خلفاء سيدنا رضي الله عنه ممن انتفعت بهم جزاهم الله خير الجزاء وهناك أمور لا يمكن الإفصاح بها كتابة

أما نشاطي في التأليف وإن كان من المجاز تسمية ذلك بالتأليف فقد قمت بتدريس كثير من الكتب خصوصا البغية ورسائل سيدنا الشيخ والكوكب الوهاج لسكيرج والخريدة للفقيه النظيفي ويجب أن نضيف إلى ذلك المحاضرات والدروس التي كنت ألقيتها بزاوية مراكش العتيقة وفي زاوية درب غلف إبان حياة سيدي محمد الكبير البعقيلي وخصوصا سلسلة دروس مولانا الشيخ رضي الله عنه التي لم تتم وكذلك الأسانيد البعقيلية وكذلك حلقات في ترجمة القطب سيدي الحاج الأحسن البعقيلي

وهناك كلمات خاصة في التعريف بأعلام كسيدي إبراهيم الرياحي والمولى السلطان سليمان وسيدي الحاج محمد كنون وسيدي العربي العلمي وسيدي الحاج الحسين الإفراني وسيدي محمد الحجوجي وغيرهم مما لا أستحضرهم الآن كما كنت ألقيت ثلاث محاضرات كتبتها في تاريخ الزاوية التجانية بمكناس والرباط (بوفرون) ومراكش وسلا.

هذا ما يسر الله ذكره وأعتذر عن هذه العجالة نفع الله بها وتقبلها الله آمين.

" السفارة الإبراهيمية الرياحية إلى الديار المغربية وما نشأ عنها من علاقات حميمية"

كلمة سيدي الحاج محمد أمزالي

بسم الله الرحمان الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات وتستجاب المطالب والدعوات وتنال الأماني والرغبات بفضله سبحانه تفتح أبواب الخيرات والبركات.

ومن أعظم نعمه سبحانه أن استجاب لنا بتيسير الاحتفاء بعلم من أكبر الأعلام في العالم الإسلامي ألا وهو شيخ الإسلام مولانا وسيدنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي الشريف الحسني رضي الله عنه وعنا به آمين.

وكم طال بنا الزمان ونحن نتمنى هذا اللقاء في هذه الزاوية المباركة لإحياء ذكراه رضي الله عنه وذكر محاسنه وإحياء تراثه وأخباره والإشادة بكفاحه في إرساء السنّة الصحيحة وإشاعة الفضيلة الإسلامية في ربوع هذا البلد الطيب وغيره من الأصقاع، وإحياء لذكرى أعلامنا الكبار الذين نشروا الإسلام ودافعوا عن فهمه وربوا الأجيال على قيمه وتعاليمه يبتغون وجه الله ورضى رسوله حاملين شعار نشر الفضيلة الإسلامية المستوحاة من الكتاب والسنة الكريمة.

إن سيدي ابراهيم هو في الحقيقة ليس من أعلام الشقيقة تونس فحسب بل من أعلام العالم الإسلامي بأجمعه فقد كان ولا يزال رمز العدالة والالتزام الصارم بتعاليم الإسلام في نشر الفضيلة والقيم الإسلامية بين الناس ونصرة المظلوم وصيانة الشريعة

من تلاعب أعدائها ونشر تعاليم التصوف السني الحق النقي لتطهير القلوب والنفوس حتى تتعالى على الأطماع الرخيصة الوسخة التي انتشرت بسبب التيارات الفاسدة التي تسعى لإفساد المجتمع الإسلامي في جميع البلدان التي تدين بالدين الحق دين الإسلام المجيد الصافي النابع من الكتاب والسنة الطاهرة. إنه كان رضي الله عنه مثال للإمام القائد المجدد المصلح المربي الناصح الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ولا تشغله إلا مصلحة الإسلام والمسلمين ورعايتهم وصيانتهم ودفع كل شبه تتدنس عقيدتهم وسلوكهم.

إن الكلام عن هذا السيد الكريم والإمام العظيم طويل وعريض وسنسمع عنه في هذه الجلسة المباركة من السادة المحاضرين ما يشرح نفوسنا ويثلج قلوبنا ويقوي عزائمنا ويثبت إيماننا ويضمننا كلنا. كلنا كنا نتمنى مثل هذا اللقاء الذي سيكون لا شك أثر مبارك فالحمد الله على أن حقق سبحانه لنا الرغبة والأمنية.

أيها السادة الكرام إن كلمتي المتواضعة هذه سأتناول فيها موضوعا شيقا أملاه عليّ الظرف وسيتناول العلاقة الوطيدة والقوية التي كانت تربط شيخ الإسلام ببلدي المغرب ابتداء من قمة هرم الحكم إلى أبسط مواطن إنها علاقة حب وود وإكبار منذ أن وضع قدمه رضي الله عنه الكريمة بأرض المغرب في سفارته إليه ولا تزال هذه العلاقة كما كانت بل زادت قوة وجدة وصلابة. لهذا اخترت أن أتكلم عن علاقة هذا السيد الكريم بوطنه الثاني المغرب وهو موضوع مهم جدا.

وسأتناول بحول الله هذا الموضوع ابتداء من سفارة سيدي ابراهيم إلى وفاته مع ما تميزت به هذه الفترة المتميزة من حياته من مودة وتواصل من الطرفين تواصل لم ينقطع إلى آخر رمق من حياته بل تمادى هذا التواصل خلفا عن سلف وسيبقى إلى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وإنني إذ أتناول ترجمة هذا العلم الشامخ فإنني أنحني إجلال مقبلا يده الشريفة معترفا بقصوري وتقصيري معتذرا له من قلة أدبي لأنني تجرأت على هرم من المعرفة والولاية عال جدا. وإني أستحضر هنا ما قله علم من أعلام المغرب وهرم من رجاله الكبار سيدي العربي بن السايح رضي الله عنه وهو من هو علما وولاية وقد كان يحب شيخ الاسلام ويعظمه ويحب عائلته ويحب بلده ويحب أهل تونس من أجله هذا السيد لما ترجم له لخص الثناء له بقوله في التنويه به : هو شيخ الإسلام وقدوة الأنام حامل لواء العلم والعرفان المخصوص حيا وميتا برحمة الصريخ وإغاثة اللهفان ناصر هذه الطريقة الأحمدية وحامي دمارها ومطلع شموسها وأقمارها الشيخ أبو اسحاق سيدنا ابراهيم الرياحي التونسي رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا بمحبته ورضاه وشهرته بالتبريز في مدائن العلم والعمل والولاية الكبرى في سائر الأفاق كافية عن التعرض لتفصيل مجمل ذلك في هذه الأوراق [149] ثم ختم كلامه بقوله معبرا عن فخامة مقام سيدنا شيخ الاسلام : وحسب مثلي عند ذكر مآثره الإطراق هيبة لجلالة ذلك المقام وأن يكون قصارى أمره في ذلك العي والإحجام.

هذه هي الجلالة وهذه هي الشهامة أمام هذه الجادة العلية ورضي الله عن الرجلين معا وعنا بهما آمين.

بعد هذه المقدمة أنتقل إلى ذكر السفارة المباركة التي قام بها شيخ الاسلام الرياحي إلى الإيالة المغربية.

مقدمة قصيرة لابد منها: نحن في مشارف سنة 1216 هـ ووضعية سيدي ابراهيم صعبة ماديا ونختصر ذلك في ما يلي ولد رضي الله عنه في مدينة تستور سنة 1180 هـ

[149] لخص في هذه الفقرة نواحي مناقب شيخ الإسلام رضي الله عنه ومميزات شخصيته.

الموافق 1767 م وبها نشأن في عفاف وصيانة ونسك وديانة في أحضان والديه اللذين أحسن تربيته وتعلميه فحفظ القرآن في مدة يسيرة وكذلك المتون الفقهية واللغوية بعد ذلك التحق بالعاصمة تونس على يد أكابر العلماء بها وعلى رأسهم سيدي صالح الكواش ورزق نجاحا وافرا في دراسته مما أثار انتباه أشياخه إليه فكانوا يتفرسون فيه النجابة ويرون له مستقبلا زاهرا وتفوقا كبيرا ومع ذلك فكانت حالته المادية غير مرضية بل ضعيفة لا تمكنه من عيشة هنية كما كان يتمناها فهو فقير ولا يمكنه بناء أسرة ولا كسب بيت لائق فكان متضايقي بسبب ذلك وفكره منشغل بذلك باستمرار حتى انه كان في بعض الأوقات يفكر في الهجرة من تونس إلى الخارج ليسحن وضعيته كما وقع لشيخه العلامة سيدي صالح الكواش الذي هاجر الى تركيا لنفس السبب حتى يسر الله الغنى فرجع الى بلده وقد تبدل عسره يسرى وفقره غنى.

كان سيدي ابراهيم في ضيقه ذلك يفكر في الحل وهو أبي النفس عالي الهمة مما يمنعه من الشكوى الى الناس وهو بتربيته الصوفية لا تسمح له نفسه بالشكوى للخلق ويقول لا أشكو ربي إلى خلقه وهو بيده الأمر كله وتيقن أن الله سبحانه سيفرج عنه ضيقه مما جعله يصبر وينتظر الفرج

وبينما هو كذلك إذ لاحت له معالم هذا الفرج الذي ينتظره ويأمله فإذا به يأتيه الفرج من بلاد بعيدة يسمع بها ولا يعرفها وهي بلاد المغرب. فقادت له العناية الربانية ولي كبير من أكابر أولياء المغرب وشيخا من مشائخها المرموقين وهو سيد الحاج علي حرازم برادي الفاسي التيجاني خليفة الشيخ سيدي احمد التيجاني الاكبر كيف ذلك؟ كان يوما جالسا في المسجد في حقلة درسه مع الطلبة ينتظرون الشيخ الذي تأخر في المجيء فإذا به ير رجلا كبير السن عليه زيا مغربيا سلم عليه وجلس بجنبه فعرف أنه من المغرب واسمه حاج علي حرازم برادى من فاس. جلس قربه وكأنه يعرفه من قبل

فدارت المذاكرة بينهما فعلم ذلك السيد أن ذلك السيد مر بتونس في طريقه إلى حج بيت الله الحرام ومر بتونس لغرض واحد وهو ملاقاته هو بنفسه وسأعطيك ما أمرت بتبليغه لك.

ثم قال له إن الشيخ الذي تنتظره لن يأتي اليوم فقال له وبماذا تعرف هذا فلم يجبه ثم قال له سيدي ابراهيم لقد تذكرت رؤيا رأيتها وهي أني رأيت شيخا مغربيا وبيده كتاب مخطوط وفيه سطور مكتوبة بالأحمر كلها رموز حاولت حلها فلم أستطع فقال أنا سأحلها لك إن شاء الله. ونزل سيدي الحاج علي حرازم ببيت المدرسة ودرس معه الجواهر وأطلعه على أسرار.... لولا فضل الله ما حصل عليها وما في المنام وأذن له في الطريقة وفي كثير من أسراره العالية مع أنه قريب عهد بالتمسك بالطريقة وأجازه في كل ما أذن له فيه. وهذا من عناية الله به رضي الله

وقال له ليلة بعد أن أيقظه قم يا ابراهيم واطلب من الله ما تريد فإنها ساعة الإجابة بدون أي شك فكتب سيدي إبراهيم مطالبه في ورقة وقرأها على سيدي عليّ حرازم وهي أربعة عشر مطلب مذكورة كلها في الكتب التي ترجمت له ولقد استجاب الله له تلك المطالب كلها على يد شيخه سيدي الحاج علي حرازم برادة وعلى يد سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عن الجميع وكانت هذه المطالب سببا في اتساع معارف سيدي ابراهيم الخاصة وأدركها كلها حينها وبدون تأخير.

وإذا سخر الإله أناسا ** ** لسعيد فإنهم سعداء

وفي رواية

وإذا سخر الإله سعيدا ** ** لأناس فإنهم سعداء

وهي رواية سيدنا رضي الله عنه

وإذا العناية لاحظتك عيونها ** ** نم فالمخاوف كلهن أمان

وعلى كل حال فقد رأى سيدي إبراهيم من الشيخ الحاج علي برادة ما لم يخطر له ببال ونال منه ما لم يخطر له بحسبان ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ وبشره أن هذه الضائقة التي عاشها أعوام ستزول حينا بحول الله وستستبدل منحا وعطايا بحول الله وكان الأمر كذلك وأنه سيسافر إلى المغرب كسفير لبلده وهناك سيلتقي بسيدنا الشيخ التيجاني رضي الله عنه وسيستقبله السلطان بنفسه معززا مكرما ويلبي له كل رغابته ورغبات بلاده وكان هذا في سنة 1216 هـ وبها انتهى الكابوس وحل الفرج وما لبث الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادى أن ودع تلميذه وحبيبه سيدي ابراهيم بعد أن أدى الواجب الذي كان عليه وقام بما وجب من حقه لديه فكان هذا اللقاء مفتاح الفرج فانقلبت الشدة شدة وانقلبت المحنة منحة.

وما لبث أن أرسل إليه الوزير صاحب المكرومات سيدي يوسف صاحب الطابع أن أرسل إليه كلمات وطلب منه أن لا يرحل عن تونس وقال نحن في حاجة إليك وأنت شيخ البلاد وبركة العصر والمصر فلا أسمح لك أن تغادر البلد وهذا لا يتصور ما دمت حيا فاشترى له دارا قرب باب الخضراء وأثثها له بكل ما يحتاج إليه وأعطاه ما يتزوج به وما يستعين به وتدخل عند الباي والسلطات المختصة أن يحسنوا وضعية سيدي ابراهيم وترفع له أجرته بما يليق بمرتبته هذا زيادة على ما كان ينفقه عليه من ماله

الخاص كل شهر فقر رضي الله عنه وانفتحت الدنيا أمام عينيه وسيستمر ترقية إلى أكثر من ذلك.

هذا هو الشطر الأول الاستعجالي إن صح التعبير للفرج الكبير الذي حصل لشيخ الإسلام الرياحي.

والشطر الثاني وهو تعين سيدي ابراهيم للقيام بالسفر إلى بلاد المغرب لطلب الميرة من سلطان المغرب المولى سليمان بن المولى محمد بن المولى اسماعيل العلوي فعين كسفير فوق العادة الى فاس ففرح به فرحا شديدا ولكن الذي فرح به أكثر وأسعده أكثر هو أنه سيتصل بسيدنا ومولانا أحمد التيجاني كما بشره الخليفة سيد الحاج علي حرازم رضي الله عنه ويتنعم بالنظر إلى طلعته البهية ويفوز بتقبيل اليد الأحمدية الشريفة.

كان وصول الوفد الى مدينة فاس يوم الاثنين 17 شوال عام 1218 هـ الموافق 1803م وأول ما قام به سيدي ابراهيم الذي كان على أحر من الجمر أول ما قام به بعد وصوله إلى محل الإقامة التي أعدتها التشريفات الملكية لنزوله مع الوفد الذي معه أن طلب منهم أن يصحبوه إلى دار سيدنا الشيخ رضي الله عنه أي دار المرايا عملا بما أوصاه به الخليفة سيدي الحاج علي حرازم. فلما طرق الباب فتحت له الخادم الباب وسألته هل أنت ابراهيم التونسي قالت له إن سيدي قد أخبر بمجيئك فأدخل وانتظره في الداخل فإنه سيأتي إليك ثم أعطته إناء مملوء حليبا فشربه كله مرة واحدة ثم دخل إلى الدار فوجد في الانتظار بعض أكابر أصحاب سيدنا رضي الله عنه وعنهم سيدي

محمد بن المشري والشريف سيدي محمد الغالي بوطالب[150] فسلم وجلس وتقدم للحاضرين الذين كانوا على علم بمجيئه ففرحوا به وسألوه عن الأحوال في تونس وعن بعض أصحاب سيدنا رضي الله عنه اللذين في تونس ودعوا له بالتوفيق والنجاح في مهمته.

فلما دخل عليهم سيدنا الشيخ رضي الله عنه انتابت الدهشة سيدي ابراهيم وغمرته الفرحة ها هو أمام سيدنا الشيخ رضي الله الذي حبه قلبه وكيانه وعقله وجوارحه ها هو القطب المكتوم ها هو خاتم الاولياء وإمامهم وممدهم ها هو سيد الأولياء فامتلأ قلبه فرحة وغبطة واستولى عليه الدهش أمام تلك الطلعة البهية والذات النورانية فدخل سيدنا رضي الله وهو يقول مرحبا بك يا سيدي ابراهيم ويكررها وعانقه عناقا شديدا غيبه عن حسه فلا يسمع إلا ترحيب سيدنا الشيخ به وكان سيدنا يتصبب كأنه أتى من سفر شاق ثم قال له عظم الله أجرك في شيخك العلامة الصالح سيدي صالح الكواش فإني جئت الآن من جنازته والصلاة عليه رحمة الله عليه.

وهذا السيد هو شيخ العلماء في تونس وإمامهم تربطه صداقة حميمة بسيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه منذ سنين مضت لما مر رضي الله بتونس في طريقه إلى حج بيت الله الحرام. وكان ذلك يوم الاثنين 17 شوال عام 1218 كما تقدم ثم جلس سيدنا رضي الله عنه مع الشيخ الرياحي وهو لا يزال لا يصدق بما يرى كأنه في حلم جميل وسيدنا رضي الله عنه يكلمه ويسأله عن تونس وأهله ليرجع به إلى رشده ويوقظه من غيبوبته وحق له ذلك الحال وهو جيد فلم يكفي أن يكون رأى سيدنا لأول مرة بل زاد

---

[150] ومنهم من قال أنه كان معهما سيدي علي التماسيني وسيدي الحاج علي حرازم وهو غلط فادح لأن الأول كان إذاك بتماسين والثاني كان بمكة المكرمة

على ذلك تلك الكرامة التي حكاها سيدنا رضي الله عنه من حضوره لجنازة الشيخ الكواش بتونس في ذلك الوقت هذا شيء قوي فوق عقل البشر

ثم جلس سيدنا مع سيدي إبراهيم جلسة خاصة وسأله عن أحواله وأحوال تونس وأخبار الباي وبعض الأعيان من وزراءه ومن علماء البلاد بالتحديد ثم كلمه في مهمته التي عين فيها والتي جاء من أجلها ونصحه بالقيام بها أحسن القيام ومن مراعاة الآداب الخاصة بمجالسة السلطان وحاشيته ووزراءه ونصحه بأن يراعي الأدب مع كل أولئك الناس ثم رحب به مرة أخرى ثم قال له الآن ارجع إلى إقامتك لتأخذ قسطا من الراحة ولقيامك بمهمة على أحسن حال فإنها ستكون ناجحة لا محالة بإذن الله سدد الله خطاك. ثم دعا له ثم قال له: ستكون لنا جلسات أخرى خاصة بحول الله وقوته.

فتصور حال سيدنا إبراهيم فإنه غادر الشيخ رضي الله عنه وهو في نشوة ما رأى وما سمع حال من رأى حلما جميلا وهو لا يريد أن يستيقظ منه وسيستمر معه ذلك الحلم الجميل البهيج ولن ينساه طوال حياته وقد فتح الله تعالى عليه فتحا عظيما بملاقاة سيدنا رضي الله عنه ومجالسته وسيبقى معه ذلك الفتح وتلك الذكرى طوال حياته.

فحمد الله وشكره على ما أنعم عليه به بدون استحقاق وبدون تعب ولا نصب وأدرك أنه من المخصوصين المحظوظين بدون عمل وبدون أن يخطر ذلك على باله بل بمحض فضل الله وعنايته (لا يسأل عما يفعل) سبحانه

استقبال السلطان المولى سليمان بن مولانا محمد العلوي سلطان العلماء وعالم السلاطين سلطان المملكة المغربية سلطان مملكة واسعة الأطراف من البحر

المتوسط شمالا إلى مدينة تومبكتو (مالي حاليا) جنوبا فلهذا كان يسمى بالسلطان وهو مرادف للامبراطور

استقبل السلطان الشيخ سيدي إبراهيم هو والوفد المرافق له في قصره البديع العامر بفاس بحضور أفراد الحكومة وزراء وعلماء ودبلوماسيين وكتّاب وشعراء ووجهاء استقبالا بممثل لبلد أخوي عزيز كريم تربطنا به أواصر المحبة والأخوة والدين ومبعوث من أخ كريم وسلطان عزيز وهو حمودة باشا المحبوب القريب الجليل فرأى سيدنا السلطان المولى سليمان الذي هش له وبش وفرح به فرحا لم يخفه عن الناس فرأى سيدنا إبراهيم جمالا وجلالا ومهابة وعلوا وعظمة وفخامة في كل النواحي ومن كل الجهات ورأى من جلالة السلطان مهابة وعظمة وفخامة وتواضعا وابتساما لم يرهما من غيره مما يدل على شرف نسبه العلوي المجيد وعلو مجادته الفريدة مع التواضع والرفق وخفض الجناح والتواضع وأظهر من الفرح بسيدي إبراهيم ما أبهر الجميع ولعل انبساط السلطان معه هو علمه بأنه أخ له في الطريقة التجانية وأن شيخها الواحد هو سيدنا أحمد التجاني بفضل الله وبركاته ولهذا قابله بحفاوة بالغة واعتنى به عناية خاصة لم يرها منه أفراد بلاطه عمل بها مع غيره ولهذا سيعطي تعليماته الملكية لجميع أعضاء حكومته وعماله وخواصه بفاس وفي كل جهات المملكة الخاصة أن يولوه عناية خاصة ويقدموا تلبية رغباته بسرعة وتسهيل كل ما يحتاجه في إقامته في فاس وفي أسفاره وتنقلاته في كل مدن ونواحي البلاد كل مدينة يزورها ولهذا أيضا سيلبي جميع طلبات الباي حمودة باشا وحكومته ويقضي كل مطالب الإيالة التونسية وزيادة.

وفي هذه المقابلة ألقى سيدي إبراهيم قصيدته العصماء الفريدة الطنانة والفريدة من نوعها يمدح فيها السلطان المولى سليمان مطلعها

إنْ عزَّ من خير الأنام مَزَارُ ** ** فلنا بِزَوْرةِ نجله استبشار
أَوَليس نور المصطفى بجبينه ** ** كالشّمس يُظهِرُ نُورَها الأقمارُ
فَاشْفِ الغليلَ بقربه فلطالما ** ** شطَّ المزارُ وعاقت الأقدارُ
واحفَظْ جفونَك من سَنَاهُ فإنَّه ** ** ببريقه تُتَخَطَّفُ الأبصارُ
وإذا أناملُه اللِّطافُ لَثَمْتَها ** ** فَحَذَارِ من غَرْقٍ فهنّ بِحَارُ
و افْخَرْ على كلّ الملوك بِلَثْمِهَا ** ** ما بعده للمستعزّ فخار

وهي طويلة وهي من غرر شعر سيدي إبراهيم الرياحي باتفاق النقاد في حياته وبعد مماته فإنه يدع فيها ما شاء الله وكذلك في كل قصائده التي مدح بها السلطان المولى سليمان وذلك لأن السلطان من أهل البيت وصاحب الشيخ التجاني رضي الله عنه وله قصائد أخرى في مدحه في مناسبات كثيرة مذكورة في كتب التاريخ التونسي كتعطير النواحي وكتاب الاتحاف لابن أبي الضياف والسنوسي في مسامرة الظريف وغيرها

بقي سيدي إبراهيم في ضيافة الشيخ رضي الله عنه وفي ضيافة السلطان ما يقرب من ستة أشهر سافر إلى مدن مكناس وسلا والرباط واتصل بالعلماء والأكابر وخلفاء السلطان وأجاز واستجاز وكانت له جولات في المذاكرات العلمية مع العلماء والشعراء ولقد لبى السلطان طلبات المملكة التونسية مع الزيادة الوافرة فقد بلغت حمولة القمح ستين سفينة ومعها ستين محملة بستة مدافع وبالسلام ومعدات وخيول أصيلة هدية خاصة للباي للتربية ولعل السلطان تفضل على تونس كل ذلك منه لتونس وأهلها على ما كنت قد طالعته منذ زمان

وطيلة المدة التي أقام بها سيدي إبراهيم الرياحي بفاس قام مرارا بزيارة سيدنا الشيخ رضي الله عنه في داره وفي الزاوية وراءه صلاة لم ينسها أبدا واختلى به مرارا يربيه

ويرقيه مما كتمه ولم يصرح به أبدا فأكمل له رضي الله عنه ما بدأ مع الخليفة سيدي عليّ حرازم رضي الله عنه الذي كان يقول لسيدي إبراهيم الرياحي إذا أطلعه على سر أو طالع سرا يقول هذا سيفسره لك سيدنا رضي الله عنه لما تزوره بفاس

كما التقى سيدي إبراهيم بكثير من العلماء والمقدمين الكبار بالزاوية المباركة من أهل الزاوية ومن الزوار الذين يأتون لزيارة سيدنا رضي الله عنه

ولقد بقيت علاقة سيدنا إبراهيم الرياحي رضي الله عنه متصلة بالبلاط المغربي وبأكابر علماء المملكة ومثقفيها وأدباءها من خلال المراسلات التي كان يتبادلها معهم ومنهم من كانوا زاروه بتونس خصوصا الذين كانوا يقصدون حج بيت الله الحرام لم تنقطع تلك العلاقة من المغاربة ومن التونسيين بل ظلت حية في الوجدان وستبقى دائما وأبدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

هذا ما يسر الله جمعه في هذه العجالة جعلها الله من العمل المتقبل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم